شرح القصيدة الدالية في الاعتقاد

لأبي الخطاب الكلوذاني

شرحها الدكتور
هاني بن عبدالله الجبير

مكتبة الرشد
ناشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح القصيدة الدالية في الاعتقاد

لأبي الخطاب الكلوذاني

ح مكتبة الرشد ١٤٣٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
جبير ، هاني عبدالله محمد
شرح القصيدة الدالية في الاعتقاد لأبي الخطاب الكلوذاني / هاني عبدالله محمد جبير - الرياض ، ١٤٣٠هـ
ردمك ٧ - ٨٢٨ -٠١- ٩٩٦٠-٩٧٨
١- العقيدة ٢- الشعر الإسلامي أ . العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٠/٦١٩٠

ردمك ٧-٨٢٨-٠١-٩٩٦٠-٩٧٨ رقم الإيداع ١٤٣٠/٦١٩٠

الطبعة الأولى تاريخ : ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

مكتبة الرشد — ناشرون

المملكة العربية السعودية — الرياض

الإدارة : مركز البستان — طريق الملك فهد هاتف ٤٦٠٤٨١٨

ص . ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ فاكس ٤٦٠٢٤٩٧

Email: info@rushd.com.sa
Website : www.rushd.com.sa

فروع المكتبة داخل المملكة

الرياض :المركز الرئيسي: الدائري الغربي بين مخرجي ٢٧ و٢٨ هاتف ٤٣٢٩٣٣٢
الرياض : فرع طريق عثمان بن عفان هاتف ٢٠٥١٥٠٠
الرياض : فرع الدائري الشرقي هاتف ٤٩٧١١٩٩ فاكس ٤٩٦١٥٩٩
فرع مكة المكرمة : شارع الطائف هاتف ٥٥٨٥٤٠١ فاكس ٥٥٨٣٥٠٦
فرع المدينة المنورة : شارع أبي ذر الغفاري هاتف ٨٣٤٠٦٠٠ فاكس ٨٣٨٣٤٢٧
فرع جدة : مقابل ميدان الطائرة هاتف ٦٧٧٦٣٣١ فاكس ٦٧٧٦٣٥٤
فرع القصيم : بريده — طريق المدينة هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨
فرع أبها : شارع الملك فيصل هاتف ٢٣١٧٣٠٧ فاكس ٢٢٤٢٤٠٢
فرع الدمام : شارع الخزان هاتف ٨١٥٠٥٦٦ فاكس ٨٤١٨٤٧٣
فرع حائل : هاتف ٥٣٢٢٢٤٦ فاكس ٥٦٦٢٢٤٦
فرع الإحساء : هاتف ٥٨١٣٠٢٨ فاكس ٥٨١٣١١٥
فرع : تبوك هاتف ٤٢٤١٦٤٠ فاكس ٤٢٣٨٩٢٧
فرع القاهرة : شارع إبراهيم أبو النجا — مدينة نصر : هاتف ٢٢٧٢٨٩١١ — فاكس ٢٢٧١٢٦٢٥

مكاتبنا بالخارج

القاهرة : مدينة نصر : هاتف ٢٧٤٤٦٠٥ موبايل ٠١١٦٢٨٦١٧٠

موبايل ٠١٠١٦٢٢٢٦٥٣ فاكس ٢٢٧١٣٦٢٥

بيروت : بئر حسن موبايل ٠٣٥٥٤٣٥٣ تلفاكس ٠٥/٤٦٢٨٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فإنّ القصيدة الداليّة في الاعتقاد لأبي الخطاب الكلوذاني من القصائد التي تميّزت بوجازتها مع ما اشتملت عليه من جمعٍ لعدد من مسائل الاعتقاد وقواعد أصول الدين ، التي ينبغي العناية بتحقيق الحق فيها.

وبين يديك شرح موجز لهذه القصيدة ، وأصله شرح أمليته في مجالس علمية ، وحيث رغب إليَّ بعض الإخوة في إخراج هذا الشرح مطبوعاً ليسهل الانتفاع به والحصول عليه فقد قمت بقراءة ما كتبه الإخوة وتعديله والتعليق عليه بما تيسّر.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعني به يوم العرض عليه إنه ولى ذلك والقادر عليه.

هاني بن عبدالله بن محمد الجبير
مكة المكرمة ص.ب ١٤٠٢٨

ترجمة الناظم(*)

*** اسمه ونسبه ولقبه وكنيته :**

هو أبو الخَطّاب ، محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكَلْوَذَاني . نسبة إلى كَلْوَاذى ؛ وهي من نواحي بغداد ، والنسبة إليها : كَلْوذَاني وكَلْواذَاني وكَلْواذِيّ. وهي بفتح الكاف وسكون اللام وفتح الواو[١].

وقال بعضهم : إن صحة اسمها كِلْواذ بكسر الكاف وإسقاط الألف من آخرها[٢].

ويلقّب بنجم الهدى.

*** ولادته وطلبه للعلم :**

ولد في الثامن من شَوّال سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة.

وقد أخذ عن جملة من الشيوخ وكتب بخطّه كثيراً من مسموعاته.

(*) المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٩٠) ؛ الكامل لابن الأثير (١٠/ ٥٢٤) ؛ سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٤٨) ؛ اللباب في تهذيب الأنساب (٣/ ١٠٧) ؛ معجم البلدان (٤/ ٤٧٧) ؛ شذرات الذهب (٤/ ٢٧) ؛ طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٣/ ٤٧٩) ؛ ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ١١٦) ؛ البداية والنهاية (١٦/ ٢٣١) ؛ المنهج الأحمد للعليمي (٢/ ٢٤٤) ؛ مختصر طبقات الحنابلة للشطّي (ص ٣٥) ؛ رفع النقاب لابن ضويان (ص ٥٧) .

(١) اللباب (٣/ ١٠٧) ؛ معجم البلدان (٤/ ٤٧٧).

(٢) معجم البلدان (٤/ ٤٧٨).

فمن شيوخه أبو يعلى الحنبلي ، حيث لازمه ، وانتفع به وتخرّج على يديه حتى برع في المذهب والخلاف.

وأخذ عن أبي عبدالله الوَنّي الفقه والفرائض ، وبرع فيهما.

وأخذ الحديث عن : أبي محمد الجوهري ، وأبي طالب العشاري ، وأبي الحسين بن المهتدي وغيرهم.

*** تلاميذه ومصنفاته :**

وروى عنه : محمد بن ناصر الحافظ ، وأبوالمعّمر الأنصاري ، وأبو طالب بن خضير ، والحافظ السّلفي ، وغيرهم.

وأخذ عنه الفقه : أبو بكر الدينوري ، وعبدالقادر الجيلاني الزاهد ، وعبدالوهاب بن حمزة.

وقد صنّف عدداً من الكتب الحسان في الفقه والفرائض والأصول والخلاف ، منها :

الهداية في الفقه.

والتمهيد في أصول الفقه.

والتهذيب في الفرائض.

والانتصار في المسائل الكبار ، وهو في الخلاف.

*** ثناء العلماء عليه :**

قال الحافظ السِّلَفي : هو ثقةٌ رضيّ ، من أئمة أصحاب أحمد[1].

---

(١) سير أعلام البنلاء (١٩/ ٣٤٩).

وقال أبو بكر بن النَّقور : كان الكِيا الهراسي إذا رأى الشيخ أبا الخطاب مقبلاً قال : قد جاء الفقه[١].

وقال الذهبي عنه : كان إماماً ، علامة ، ورعاً ، صالحاً ، وافر العقل ، غزير العلم، حسن المحاضرة ، جيّد النظم[٢].

وقال أيضاً : كان من محاسن العلماء ، خيّراً صادقاً ، حَسَن الخلق ، حلو النادرة ، من أذكياء الرجال[٣].

وقال ابن رجب : كان فقيهاً عظيماً ، كثير التحقيق ، وله من التحقيق والتدقيق الحسن في مسائل الفقه وأصوله شيء كثير جداً[٤].

*** وفاته :**

توفي رحمه الله في جمادى الآخرة سنة عشر وخمسمائة ، رحمه الله تعالى وغفر له.

*　*　*

(١) المرجع السابق .

(٢) العِبَر في خبر من غبر للذهبي (٢/ ٣٩٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٥٠).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ١٢٠).

تحقيق نسبتها لأبي الخَطّاب

اشتهرت نسبة هذه المنظومة لأبي الخطاب - رحمه الله - ونَصّ على نسبتها له غير واحد ممن ترجم له.

كما نسبها لنفسه في آخرها إذ قال :

قالوا أبان الكلوذانّي الهدى　　　قلت الذي فوق السماء مؤيّدي

وقد ذكر مترجموه أنه كان ينظم الشِّعر الحسن[(١)].

وقد رواها ابن الجوزي قال : أنشدنا محمد بن ناصر الحافظ[(٢)] قال : أنشدنا

---

(١) انظر مثلاً : ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ١١٨) ؛ البداية والنهاية (١٦/ ٢٣١).

(٢) هو : محمد بن ناصر بن علي بن عمر السلامي ، الحافظ ، ولد سنة سبعٍ وستين وأربعمائة للهجرة . أخذ عن أبي القاسم بن البسري وأجازه ابن ماكولا .

قال السلفي : كان شافعيًّا أشعريًا ، ثم انتقل إلى مذهب أحمد في الأصول والفروع ، ومات عليه ، وله جودة حفظ وإتقان وحسن معرفة ، وهو ثبت إمام .

وقال ابن الجوزي : كان حافظًا ضابطًا ، متقنًا ، ثقةً ، من أهل السنّة ، وعنه أخذت ما أخذت من علم الحديث .

روى عنه : السلفي ، وابن عساكر ، وابن الجوزي ، وابن السمعاني . وتوفي سنة خمسين وخمسمائة ، رحمه الله .

انظر : ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٢٥) ؛ البداية والنهاية (١٦/ ٣٧٤) ؛ سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٦٥) ؛ المنتظم (١٠/ ١٦٢) .

أبو الخَطّاب محفوظ بن أحمد لنفسه ، ثم ساق المنظومة إلى آخرها[١].

وهذا إسناد متّصل صحيح.

وقد رواها عن أبي الخطاب أيضاً : سعد الله بن نصر بن سعيد ، المعروف بابن الدَّجاجي[٢].

وممن نسب المنظومة إليه ابن كثير[٣] ، والذهبي[٤] ، وابن رجب[٥] ، وغيرهم.

وهي من بحر الرجز وأبياتها اثنان وخمسون بيتاً.

* * *

(١) المنتظم (٩/ ١٩٠).

(٢) قال ابن رجب في ذيل الطبقات (١/ ٢٠٣) : تفقّه على أبي الخطاب حتى برع ، وقد روى عنه كتاب الهداية ، وقصيدته في السّنةِ وغيرها .

وقال عنه ابن نقطة : شيخ فاضل صحيح السماع ، حدثنا عنه جماعة من شيوخنا ، وكان ثقة .

توفي سنة أربع وستين وخمسمائة .

انظر : البداية والنهاية (١٦/ ٤٣٥) ؛ المنتظم (١٨/ ١٨٤).

(٣) البداية والنهاية (١٦/ ٢٣١) وقد ذكر من مطلعها ثلاثة أبيات.

(٤) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٤٩) وقد ذكر بيتين منها .

(٥) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ١١٧) .

أبيات القصيدة الداليّة

دع عنك تذكارَ الخليطِ المُنْجِدِ والشّوق[1] نحو الآنسات الخرّد
والنّوح في أطلال سُعدى إنما تذكارُ سُعدى شغل من لم يسعدِ
واسمع مقالي إن أردت تخلصاً يوم الحساب وخذ بهديي[2] تهتدي
واقصِد فإني قد قصدت مُوَفَّقاً[3] نهج ابنِ حنبلٍ الإمامِ الأوحدِ
خيرِ البريةِ بعد صحبِ محمدٍ والتابعين إمامِ كل موحدِ
ذي العلم والرأي الأصيل ومن حوى شرفاً علا فوق السُّها[4] والفرقدِ
واعلم بأني قد نظمت مسائلاً لم آلُ فيها النُّصح غير مقلِّدِ
وأجبت عن تِسآلِ كل مهذَّب ذي صولةٍ عند[5] الجدال مسوَّدِ
هجر الرقاد وبات ساهر ليله ذي همةٍ لا يستلذ بمرقدِ
قوم طعامهم دراسةُ علمهم يتسابقون إلى العلا والسؤددِ

---

(١) في نسخة: والسَّوق، بالمهملة.

(٢) في نسخة: بهذا.

(٣) في نسخة: موافقاً.

(٤) في نسخة: السما.

(٥) في نسخة: يوم.

قالوا: بم عرف المكلَّف ربه؟ فأجبت: بالنظر الصحيح المرشِدِ

قالوا: فهل ربُّ الخلائق واحد؟ قلت: الكمال لربنا المتفردِ

قالوا: فهل لله عندك مُشْبِهُ؟ قلت: المشبّه في الجحيم الموصدِ

قالوا: فهل تصف الإله أبن لنا؟ قلت: الصفات لذي الجلال السرمدِي

قالوا: فهل تلك الصفات قديمةٌ كالذات؟ قلت: كذاك لم تتجددِ

قالوا: فأنت تراه جسماً مثلَنَا؟ قلت: المجسم عندنا كالملحدِ

قالوا: فهل هو في الأماكن كلها؟ فأجبت: بل في العُلْوِ مذهب أحمدِ

قالوا: فتزعم أنْ على العرش استوى؟ قلت: الصواب كذاك أخبر سيدي

قالوا: فما معنى استواه أبن لنا؟ فأجبتهم: هذا سؤالُ المعتدِي

قالوا: النزول؟ فقلت ناقله لنا قوم تمسكهم بشرع محمد[1]

قالوا: فكيف نزوله؟ فأجبتهم: لم ينقل التكييف لي في مسندِ

قالوا: فيُنظر بالعيون؟ أبن لنا: فأجبت: رؤيته لمن هو مهتدِي

قالوا: فهل لله علم؟ قلت: ما من عالم إلا بعلم مُرتدِي

قالوا: فيوصف أنه متكلم؟ قلت: السكوت نقيصةُ المتوحد[2]

قالوا: فما القرآن؟ قلت كلامه من غير ما حدثٍ وغير تجددِ

قالوا: الذي نتلوه؟ قلت: كلامه لا ريب فيه عند كل مُسَدَّدِ

---

(١) في نسخة: قومٌ همو نقلوا شريعةَ أحمد.

(٢) في نسخة: بالسيّد.

قالوا : فأفعال العباد؟ فقلت : ما ... من خالق غير الإله الأمجدِ
قالوا : فهل فعل القبيح مراده؟ ... قلت : الإرادة كلها للسيدِ
لو لم يُرده لكان ذاك نقيصة ... سبحانه عن أن يُعَجّز في الردِي
قالوا : فما الإيمان؟قلت مجاوباً ... عمل وتصديق بغير تبلدِ
قالوا : فمن بعد النبي خليفةً؟ ... قلت : الموحِّدُ قبل كل موَحِّدِ
حاميه في يوم العريش ومن له ... في الغار يُسعِدُ يا له من مُسعِدِ
خير الصحابة والقرابة كلِّهم ... ذاك المؤيِّدُ قبل كل مُؤَيِّدِ
قالوا : فمن صديق أحمد؟ قلت : من ... تصديقه بين الورى لم يُجْحَدِ
قالوا : فمن تالي أبي بكر الرضا؟ ... قلت : الإمارةُ في الإمام الأزهدِ
فاروق أحمد والمهذب بعده ... نصر الشريعة باللسان وباليدِ
قالوا : فثالثهم؟ فقلت مسارعاً : ... من بايع المختار عنه باليدِ
صِهرُ النبي على ابنتيه ومن حوى ... فضلين ، فضل تلاوة وتهجدِ
أعني ابن عفان الشهيد ومن دُعِي ... في الناس ذا النورين صهر محمدِ
قالوا : فرابعهم؟ فقلت مبادراً ... من حاز دونهمُ أُخُوَّةَ أحمدِ
زوجُ البتول وخير من وطئ الحصى ... بعد الثلاثة والكريم المحتَدِ
أعني أبا الحسنِ الإمامَ ومن له ... بين الأنام فضائلٌ لم تُجْحَدِ
ولابن هندٍ في الفؤاد محبة ... ومودة فليُرغمنّ مفندِي
ذاك الأمين المجتبى لكتابة الـ ... ـوحي المنزل ، ذو التقى والسؤددِ
ولعم سيدنا النبي مناقبٌ ... لو عُدِّدت لم تنحصر بتعدُّدِ
أعني أبا الفضل الذي استسقَى به ... عمرٌ أوانَ الجدبِ بين الشُهَّدِ
ذاك الهُمامُ أبو الخلائف كلهم ... نسقاً إلى المستظهرِ بن المقتدِي

صـلى عليـه الله[1] مـا هبـت صَـبَا　　وعـلى بنيـه الـراكعين الـسُّجَّدِ
وأدام دولـتهم علينـا سرمـدا　　مـا حـنَّ في الأسـحار كـل مغـردِ
فعلـيهِمُ وعـلى الـصحابة كلهـم　　صـلواتُ ربهـمُ تـروحُ وتغتـدِي
إني لأرجـو أن أفـوز بحـبهم　　وبـما اعتقـدت مـن الـشريعة في غـدِ
قـالوا : أبـان الكلـوذانيُّ الهُـدى　　قلـت : الـذي فـوق الـسماءِ مُؤَيِّـدِي

* * *

(١) في نسخة : صلى الإله عليه .

شرح القصيدة الدالية

يقول الناظم رحمه الله :

دع عنك تذكار الخليط المنجد والشوق نحو الآنسات الخرد

دع : أي اترك عنك. **تذكار** : أي تذكر.

الخليط المنجد : هو الركب المتجه إلى نجد ، أو النازل نجداً ، يقال : أنجد إذا دخل نجداً ، وأتهم إذا نزل تهامة ، وأحرم إذا نزل الحرم. **الخليط** : الصحب والقوم الذين أمرهم واحد ، ويطلق على النديم والجليس ، ويطلق على الواحد والجمع بلفظ واحد ، وقد كثر ذكر الخليط في أشعار العرب ؛ لأنهم كانوا ينتجعون أيام الكلأ ، فتجتمع منهم قبائل شتى في مكان واحد فتقع بينهم ألفة ، فإذا افترقوا ورجعوا لأوطانهم ساءهم ذلك [1].

والشوق : يعني الاشتياق للآنسات. وفي بعض النسخ **السوق** : ومعناه متابعتهن والانقياد لهن ، ومنه المنساق وهو التابع ، يعني دع عنك الاشتياق للنساء ، والسير خلفهن ، والتفكير فيهن.

الآنسات : جمع آنسة ، وهي الفتاة التي تكون طيبة النفس ؛ لأنه مأخوذ من الأنس.

الخرد : جمع خريدة ، وهي الفتاة البكر ، مأخوذة من اللؤلؤة ، فإن اللؤلؤة التي

---

(١) انظر اللسان مادة خلط (٧/ ٢٩٤).

لم تثقب تسمّى خريدة.

فالمعنى : دع عنك تذكر أصحاب مضوا قد التقيت بهم ، ودع عنك الاشتياق للفتيات الجميلات اللائى كاللؤلؤ.

والنــوح في أطــلال ســعدى إنــما تــذكار ســعدى شــغل مــن لم يــسعد

النوح : البكاء. يقال ناح الرجل واستناح إذا بكى أو أبكى غيره.

الأطلال : جمع طلل ، وهي البقايا التي توجد بعد رحيل القوم ، فإنهم إذا نزلوا في موطن ثم رحلوا فإنه يبقى بقايا تدل على هذه الديار تسمى الأطلال.

فالمعنى : دع عنك النوح والبكاء في الأماكن التي تذكرك بالموطن الذي نزلت فيه سعدى ، وهو اسم وهمي يعبر به الناظم عن محبوبته ، وحق له ألا ينشغل بذكرها ولا يبكي من أجلها ، فإنما **تذكار سعدى شغل من لم يسعد** : أي شغل من لم يذق السعادة الحقيقية ، ومن لم يكن من أهلها أما من ذاق السعادة الحقيقية أو كان من أهلها فإنه لا يشغل نفسه بتذكر معشوقته ، لأن سعادته أنسته كل محبوب ، والسعادة الحقيقية هي ما سيتكلم عنه من مسائل العلم وتذكاره ، لذا كان الشافعى رحمه الله يقول :

ســـهري لتنقـــيح العلـــوم ألـــذ لي مـــن وصـــل غانيـــة وطيـــب عنـــاق[(١)]

فسهره ليحصل العلم ألذ له من وصال **الغواني** : وهن النساء الجميلات اللاتي استغنين بجمالهن عن الزينة.

---

(١) ديوان الشافعي ص ٩٧.

قال الناظم رحمه الله :

واسمع مقالي أن أردتَ تخلُّصاً يوم الحساب وخذ بهديي تهتدي

تخلصاً : الخلاص النجاة ، يقال خلص من كذا إذا نجا منه.

هديي : أي إرشادي لك ودلالتي إياك إلى سبيل الحق.

يوم الحساب : يوم القيامة.

يقول : اسمع قولي إن أردت أن تتخلص يوم الحساب وخذ بنصيحتي لك ، فالنجاة يوم القيامة بما سأرشدك إليه وأدلك عليه.

وسمي يوم القيامة بيوم الحساب ؛ لأنه اليوم الذي يجازى فيه الخلق على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، ويسميه الله تعالى : يوم الدين قال تعالى : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ (الفاتحة : ٤). يعني مالك يوم الحساب والجزاء ، كما قال تعالى : ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ (النور : ٢٥).

واليوم عند العرب يطلق على الوقت من طلوع الفجر إلى غروب الشمس فيكون مقابلاً لليلة ، كما يطلق على وقت القتال فيقال : يوم بدر ، ويوم أحد ، كما يطلق على الزمن مطلقًا بلا تحديد ، وعلى مدة الدول.

وقد جمعها الناظم بقوله :

قد قابل الليلة يومٌ ، وزُكن لمدة القتالِ ، مطلق الزمن

ودولةٍ ، سخرها عليهمُ سبع ليالٍ أوّلاً متمِّمُ[1]

---

(١) أي أنّ قوله تعالى : ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا ﴾ (الحاقّة : ٧).شاهد لإطلاق اليوم على ما يقابل الليلة وهو المعنى الأول لليوم .

وتلـــك الأيـــامُ ، والآخَـــرَانِ   قـــد كثـــرا في الـــشِّعرِ والقـــرآنِ[1]

وإطلاق اليوم على يوم القيامة المراد به ما بين قيام الساعة إلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

يقول : إن أردت تخلصاً فاسمع مقالي وخذ بهديي : يعني خذ بإرشادي وتبييني ودلالتي ، وفي قول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ (السجدة : ٢٦) يعني : أولم يتبين لهم.

فالمعنى : أنا أوضح لك المسائل الآن فاتبعها ، وخذ بها تهتدي : يعني ترشد ، وفي بعض النسخ : (**خذ بهذا تهتدي**) يعني بهذا التقرير من مسائل الاعتقاد الذي سأقوله لك.

ومراد الناظم أنه سيبين لك المسائل العقدية التي يكون بها نجاة العباد يوم القيامة فعليك بها حتى تنال الهداية.

والهداية تنقسم إلى قسمين :

(١) **هداية تامة** : وهي التي تحصل لمن استكمل الإيمان بالله تعالى علمًا بالحق وعملاً به ولم ينقص شيئاً من واجباته ، كما قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام : ٨٢). يعني : الهداية التامة.

---

(١) أي أنّ قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران : ١٤٠) شاهد لإطلاق اليوم على مدة القتال وهو المعنى الثاني .

وأما الآخران وهما مطلق الزمن ومدة الدول فأمثلتهما كثيرة فلا تحتاجان لشاهد .

(٢) **هداية ناقصة** : وهي التي تحصل لمن كان معه أصل الإيمان ، لكنه خلطه بالذنوب والمعاصي ، فهذه الذنوب تضعف من اهتدائه على قدر ما نقص من إيمانه.

قال الناظم رحمه الله :

واقصد فإني قد قصدت موفقاً نهج ابن حنبل الإمام الأوحد

في بعض النسخ : (**موافقاً**).

اقصد : توجّه يقال : قَصَدَهُ أي : أمَّه .

نهج : النهج هو المنهج ، والمراد به الطريقة.

الأوحد : من تفرد دون غيره في أمر ما ، يقال واحد عصره ، أي : المنفرد فيه.

والمعنى : اتبعني وسر على نهجي وطريقتي فقد سلكت طريقاً موفقاً ، وفي بعض النسخ (**موافقاً**) يعني أني وافقت في اجتهادي نهج الإمام أحمد بن حنبل المولود سنة ١٦٤هـ والمتوفى سنة ٢٤١هـ.

ومن سلك مسلك هذا الرجل الموفق فقد وفق ، فهو رجل مشهود له بسلامة الاعتقاد وحسن السيرة ، وقد قام بالمنهج الأوحد الذي تفرد به في زمنه دون غيره ، فقال كلمة الحق في مسألة خلق القرآن ، فإن الناس في زمنه دعاهم الخليفة المأمون ومن بعده المعتصم ثم الواثق إلى القول بخلق القرآن ، ومن لم يقل بذلك سجن وعذب، ولشدة الحال في تلك المحنة فإن بعض العلماء أجاب بالقول بخلق القرآن لما أكره على ذلك ، صراحةً أو تورية ؛ أما الإمام أحمد بن حنبل فقد صمد كالجبل الشامخ ، ووقف لهم وقفة قوية وأنكر عليهم هذا القول ، فجلد وسجن وعذب في ذات الله ، كل ذلك لأنه تمسك بالحق في وقت تخفّى كثير من أهل العلم بهذا المذهب ، ولذا وصفه الناظم بقوله (**الإمام الأوحد**) في قول كلمة الحق والصدع

بها والصبر على ما أصابه من أجلها ، ولذا قال علي بن المديني : (أعز الله الدين بالصدّيق يوم الردة ، وبأحمد يوم المحنة) [١].

وقال إسحاق بن راهويه : لولا أحمد بن حنبل وبذل نفسه لذهب الإسلام [٢].

ولما كان هذا الإمام بهذه الجلالة قال الناظم إنه قد وافق مذهب الإمام أحمد ابن حنبل ولم يقل إنه قلد الإمام أحمد.

*** عقيدة الإمام أحمد هي عقيدة سائر الأئمة :**

ولابد أن تعلم أن الأئمة جميعاً متفقون في أصول الاعتقاد ، ولم يختلفوا فيها ، فمن وافق الإمام أحمد في مذهبه في العقيدة فقد وافق الشافعي ومالكًا وغيرهما من الأئمة فمذهب أهل السنة والجماعة هو مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ، وهو مذهب التابعين لهم بإحسان . وإنما نسب هذا المذهب إلى الإمام أحمد لأنه صبر على إظهاره لما امتحن . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة والصبر في المحنة فليس ذلك لأنّه انفرد بقول أو ابتدع قولاً ، بل لأنّ السنة التي كانت موجودة معروفة قبله علمها ودعا إليها وصبر على من امتحنه ليفارقها وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل المحنة فلما وقعت محنة الجهميّة نفاة الصفات ، في أوائل المائة الثالثة على عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق ودعوا الناس إلى التجهم وإبطال صفات الله .. فلم يوافقهم أهل السنة حتى هددوا بعضهم بالقتل ، وقيدوا بعضهم وعاقبوهم ، وثبت الإمام أحمد بن حنبل على ذلك الأمر ...

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٦) . وأسند مثله من قوله المزني كذلك (١١/ ٢٠١) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٦) .

ولكن بسبب المحنة رفع الله قدر هذا الإمام وصار علمًا من أعلام السنة لقيامه بإعلامها وإظهارها) [١].

ولذا لما ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتابه العقيدة الواسطية، عقد له مجلس مناظرة، واجتمع عدد من العلماء يناظرونه في هذه العقيدة، ويقررون بينهم هل هذه العقيدة وفق الصواب أو لا؟ فلما طال المجلس قال بعضهم: أنت صنفت اعتقاد الإمام أحمد، وأرادوا قطع النزاع لكونه مذهبًا متبوعًا، ونحن شافعية أو مالكية أو حنفية، لنا اعتقادنا الخاص بنا.

فقال شيخ الإسلام: ما خرّجت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم، ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا، وقال: قد أمهلت من خالفني في شيء منها ثلاث سنين فإذا جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك، وعلي أن آتي من نقول جميع الطوائف من القرون الثلاثة ما يوافق ما ذكرته من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم [٢].

*** فضائل الإمام أحمد :**

قال الناظم رحمه الله :

خـير البريـة بعـد صـحب محمـد والتـابعين إمـام كـل موحـد

قوله : **خير البرية** : أي أفضل البرية بعد الصحابة والتابعين، **والبرية** : الخلق. يقصد أنه أفضل البرية في زمنه في مسألة إظهار القول بأن القرآن غير مخلوق، وهذا

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٨٢-٤٨٦).

(٢) المناظرة في العقيدة الواسطية ص ١٦٠ تحقيق أحمد شاكر .

مقصده ، ولو كان مقصده أنه خير البرية مطلقاً وأكثرها ثواباً لكان كلامه مردوداً ؛ لأن القول بأن أحدًا أكثر ثواباً من غيره يحتاج إلى توقيف ؛ لأن العبادات تتفاوت وتتفاضل بحسب تفاضل ما في قلوب أصحابها من الإيمان بالله والإخلاص والمحبّة وتوابعها[١] .

وقد نقل الذهبي قول محمد بن مصعب : لسوط ضربة أحمد بن حنبل في الله أكبر من أيام بشر بن الحارث. وتعقّبه بقوله : بشر عظيم القدر كأحمد ، ولا ندري وزن الأعمال ، وإنما الله يعلم ذلك[٢] .

وبعض الناس قد يكون قليل العبادة لكنه أفضل من غيره ، فهذا وإن كان يظهر للناس أنه قليل التعبد إلا أن قلبه قد استجمع من خشية الله والإخلاص له وإرادة وجهه ما لم يقم بقلب كثير من الناس ممن تعبد بعبادات أكثر منه ، وهذا ثمرة العلم بالله تعالى ، وقد قال عبد الله بن المبارك : ما رأيت أحدًا ارتفع مثل مالك ، ليس له كثير صلاة ولا صيام إلا أن تكون له سريرة[٣] .

فالمؤلف يقصد أن الإمام أحمد أفضل في زمنه بصدعه بالحقّ وعدم مداهنته في هذا القول مع أنه كان مكرهاً ، وكان يمكنه أن يقول بقولهم لكنه مع ذلك رغب في بيان الحق فصبر على العزيمة.

إمام كل موحد : أي قدوة كل موحد لله ، أما غير الموحد فلا يقتدي بالإمام

---

(١) انظر : الوابل الصيّب ص ٢٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٠١) .

(٣) الحلية لأبي نعيم (٦/ ٣٣٠) ؛ سير أعلام النبلاء (٨/ ٩٧) .

أحمد ؛ لأن الإمام أحمد قال بأن القرآن منزل غير مخلوق ومن خالفه قال بخلق القرآن ومن قال بخلق القرآن لم يحقّق التوحيد.

وقد قال محمد بن يحيى الذهلي : جعلت أحمد إمامًا بيني وبين الله [١].

وقال إسحاق بن راهويه : أحمد حجّة بين الله وبين خلقه[٢].

قال الناظم رحمه الله :

ذي العلم والرأي الأصيل من حوى شرفـاً عـلا فـوق السها والفرقـد

الإمام أحمد اشتهر بين بقية الأئمة الأربعة بأنه إمام أهل السنة والجماعة وهذا بسبب موقفه في فتنة خلق القرآن ، وبسبب هذا الموقف عرف اعتقاد أهل السنة والسلف الصالح ، بأنه اعتقاد الإمام أحمد ، حتى أن أبا الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) لما رجع إلى اعتقاد أهل السنة ، ألف كتاب الإبانة عن أصول الديانة وقال فيه : (قولنا الذي نقوله به وديانتنا التي ندين بها : التمسّك بكتاب الله ربنا عز وجل ، وبسنّة نبينا محمد ﷺ ، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون ؛ لأنّه الإمام الفاضل والرئيس الكامل ، الذي أبان الله به الحقّ ، ودفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين وشك الشاكين ..) [٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٦).

(٣) الإبانة ص ٤٩ .

ثم قال : (**ذي العلم والرأي الأصيل**) ، وهذا أيضاً ثناء من الناظم على الإمام أحمد.

والعلم : هو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع ، وقيل : معرفة الشيء على ما هو به .

فإذا كان مخالفاً للواقع فهو : **الجهل المركب**.

وعدم الإدراك بالكلية هو **الجهل البسيط**.

فمن قال : ربي الله وهو يعتقد اعتقاداً جازماً فهو عالم ، ومن قال : لا أدري فهو جاهل ، وإذا اعتقد أن مع الله آلهة أخرى وجزم بذلك فهو جاهل جهلاً مركباً ، لأنه جاهل ولا يدري أنه جاهل.

*** أقسام الرأي :**

ثم قال : (**ذي الرأي الأصيل**) ، لأن الرأي ينقسم إلى قسمين :

١- **رأي محمود** : وهو الذي بُني على الكتاب والسنة مثل القياس والاجتهاد المبني على النظر في الكتاب والسنة ، فهذا الرأي رأي محمود.

٢- **رأي مذموم** : وهو البدع ، والقول في أحكام الشرع بالتخمين والقياس على غير أصل صحيح.

ولما ذكر ابن عبد البر جملة مما جاء في ذم القول في دين الله تعالى بالرأي قال: (اختلف العلماء في الرأي المقصود إليه بالذم في هذه الآثار المذكورة في هذا الباب.. فقالت طائفة الرأي المذموم هو البدع.. وقال آخرون : هو القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون.. ورد الفروع والنوازل بعضها على بعض قياسًا

دون ردها على أصولها ، والنظر في عللها ..)[١].

وقال ابن قدامة : بعد أن أورد نصوصًا في ذم الرأي : هذا منهم ذم لمن استعمل الرأي والقياس في غير موضعه أو بدون شرطه .. وأنهم ذمّوا الرأي الصادر عن الجاهل الذي ليس أهلاً للاجتهاد والرأي ويرجع إلى محض الاستحسان ، ووضع الشرع بالرأي ؛ بدليل أن الذين نقل عنهم هذا هم الذين نقل عنهم القول بالرأي والاجتهاد[٢].

فالإمام أحمد صاحب رأي أصيل مستمد من الكتاب والسنة والأدلة الصحيحة التي أجمعت الأمة على قبولها.

ثم قال : (**من حوى شرفاً**) ، **الشرف** : هو المكانة يقول الناظم : قد حاز الإمام أحمد شرفاً علا فوق السها والفرقد.

السُّها : هو كوكب من بنات نعش.

والفرقد : نجم معروف يُهتدى به. وبهذا يخبرنا الناظم أن الإمام أحمد بلغ شأواً بعيداً أو منزلة رفيعة علت على منزلة النجوم وارتفعت عن مقامها. وفي بعض النسخ (**شرفاً علا فوق السما والفرقد**).

ولا يخفى أن جميع ما سبق فيه نوع من المبالغة في الإطراء باعثها محبة هذا العالم للإمام أحمد وتقديره لموقفه في نصرة السنة ، وإن كان المطلوب من الإنسان أن يكون منصفاً ، فلا يغلو في حب ولا يغلو في بغض ، ولا يمدح إنساناً إلا بالحق

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٥٢-١٠٥٤).

(٢) روضة الناظر مع نزهة الخاطر العاطر (٢/ ٢٤١-٢٤٢).

ولا يجاوز فيه القول المعتدل ؛ ولذا قال الحسن البصري : أحبّوا هونًا ، وأبغضوا هونًا ، فقد أفرط أقوام في حب أقوامٍ فهلكوا ، وأفرط أقوام في بغض أقوامٍ فهلكوا.

وعقد الترمذي في السنن بابًا سماه باب الاقتصاد في الحب والبغض. والإمام أحمد وغيره من الأئمة من أهل السنة يخطئون ويصيبون ، وكل يؤخذ منه ويرد إلا المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.

قال الناظم رحمه الله :

واعلـم بـأني قـد نظمـت مـسائلاً لم آلُ فيهـا النـصح غـير مقلـد

قوله : (نظمت) أي جمعت ، تقول: نظمت العقد أي جمعت حباته ، فشبه هذه المنظومة بالعقد الذي جمعت حباته فكمل وحسن منظره.

قوله: **(لم آلُ)** أي لم أقصر، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ (آل عمران: ١١٨) أي لا يقصرون في إفسادكم.

النصح : هو تحري ما فيه الخير والصلاح للمنصوح ، والأصل في النصح الإخلاص يقال : نصحت له الود أي أخلصته. فأنا قد جئت لك بكلام واضح ليس فيه إشكال أريد به الخير لك.

قوله : **(غير مقلد)** أي غير متبع فيه رأي أحد ، يعني أن كل المسائل التي أذكرها لك أنا اقتنعت بها وأخذتها عن دليل ، واجتهدت في النظر فيها فألفيتها الصواب ، ولم أقلد فيها أحداً ، وأما الإمام أحمد ، فإني قد وافقته في اجتهادي ولم أقلده ، إنما اجتهدت فوجدت الصواب ما ذهب إليه ، ومن ذلك ما ذكره الرحبي في منظومته ، فإنه لما أثنى على زيد بن ثابت في علمه بالفرائض، قال : لاسيما وقد نحاه الشافعي،

يعني : أنا اتبعت زيداً في الفرائض لاسيما أن الشافعي وافق اجتهاده اجتهاد زيدٍ رضي الله عنه.

*** حكم التقليد في العقيدة :**

*** مسألة : هل يصح التقليد في مسائل الاعتقاد؟**

قول الناظم (**غير مقلد**) يستدعي الوقوف على حكم التقليد في مسائل الاعتقاد.

وقد اختلف الناس في هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

(١) **القول الأول : أن التقليد في مسائل الاعتقاد حرام** : فلا يجوز لأحد أن يقلد أحداً في مسائل الاعتقاد وبناء على ذلك يجب على جميع المكلفين البحث والنظر والاستدلال.

واحتجوا لقولهم بأن التقليد إنما يفيد الظن ، والظن لا يجوز في مسائل الاعتقاد بل لابد من اليقين لورود الاحتمال بكذب المقلَّد وخطئه لعدم عصمته .

ولأنّ الله تعالى ذم من يقلد في هذا الأمر قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ (الزخرف : ٢٣). وقال عن الكفار في معرض الذم : ﴿إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ (الأحزاب : ٦٧).

(٢) **القول الثاني : أن التقليد في مسائل الاعتقاد جائز .**

واحتجوا بأن النبي ﷺ كان يقبل من الناس الإيمان ومنهم الذكي والبليد والأعرابي فيأتيه فيشهد أن لا إله إلا الله فيحكم بإسلامه دون استدلالات عقلية أو

تراكيب منطقية ، ولأنّ فيه تكليفًا بما لا يطاق لعدم قدرة جميع المكلفين على النظر ، ولأنّ الله تعالى أمر بسؤال أهل العلم قال تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل : ٤٣).

(٣) **القول الثالث : أن التقليد في مسائل الاعتقاد يجوز للضرورة** فلا بد في مسائل الاعتقاد من القطع ، لكن لما كان بعض الناس لا يتمكن من ذلك لعدم قدرته فإنّه يجوز له أن يقلّد عند العجز عن معرفة الحق بنفسه لقوله تعالى : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن : ١٦) ولقوله : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة : ٢٨٦). مع أنه لابد من اليقين.

*** معنى التقليد في مسائل العقيدة :**

وحتى نخرج من هذا الإشكال لابد أن نعرف **معنى التقليد في مسائل الاعتقاد** :
فقد قال المتكلمون أن : التقليد هو اتباع الكتاب والسنة من غير نظر عقلي ؛ لأنّ اليقين عندهم يستفاد من دلالة العقل ، ولا يستفاد من نصوص الوحي بل غايتها إفادة الظن.

قال الإيجي : (ما يتوقّف عليه النقل مثل وجود الصانع ونبوّة محمد فهذا لا يثبت إلا بالعقل ..) ثم بحث بعد ذلك هل الدلائل النقلية تفيد اليقين وحقق أن في إفادتها لليقين في العقليات نظر[(١)].

وهذا قول مجانب للصواب، ففي القرآن والسنة من الأدلة العقلية الشيء الكثير، وما يذكرونه هم من أدلة عقلية قد جاء القرآن بخلاصته على أحسن نظام ،

(١) المواقف ص ٣٩.

وهذا ظاهر لمن تتبعه وليس اتباع الأنبياء تقليدًا ، ثم إن النبي ﷺ لم يأمر أحداً بالنظر العقلي ، وإنما دعا إلى الإيمان وبين أن هذا الإيمان :

(١) تدل عليه الفطرة.

(٢) تدل عليه الأدلة الكونية الظاهرة في آيات الله و مخلوقاته.

(٣) تدل عليه ما في هذا الشرع من حكم وأحكام دالة على أنه من حكيم عليم.

أما طريقة المتكلمين في الاستدلال فهي طريقة ليست بينة في نفسها ، وفي مقدمتها نزاع وخفاء ، ولهذا أوصى كثير من المتكلمين في آخر أيامهم بترك الطرق الكلامية ، والتمسك بدين العجائز[(١)] .

ومسألة التقليد هذه مدفوعة ، فإن الإسلام فطرة فطر الله تعالى عليها الخلق ، ومتابعها ليس مقلدًا ، وليس اعتقاد المسلم كاعتقاد اليهودي والنصراني فقد قال النبي ﷺ : « **كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** »[(٢)] . ولم يقل : أو يسلمانه لأنه الإسلام دين الفطرة التي خلق عليها ولذا فَسّر السلف قوله الله تعالى : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم : ٣٠) فقالوا : فطرة الله الإسلام[(٣)] .

قال ابن القيم : (سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : كيف يطلب الدليل

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤٧ .

(٢) صحيح البخاري (١٣٥٨) ؛ صحيح مسلم (٢٦٥٨).

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٥٩) ؛ شفاء العليل لابن القيّم ص ٢٨٣ .

على من هو دليل على كل شيء ؟ وكان كثيرًا ما يتمثّل بهذا البيت :

ولـــيس يـــصح في الأذهـــان شيء إذا احتـــاج النهـــار إلى دليـــل

ومعلوم أنّ وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفِطر من وجود النهار ، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما) [١].

وبناء على ما تقدّم فإن من اتبع ما قاله الله وقاله رسوله ﷺ فقد أدّى الواجب عليه في دينه وسار على طريقة الراسخين في العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

وأمّا من لم يقبل ما جاء به الرسول حتى يدله عقله عليه فهو في الحقيقة ليس مؤمنًا بالرسول ولا متلقيًا عنه[٢].

*** صحة إيمان المقلد :**

وبناء على ما تقدم فإن الصحيح أيضًا أن إيمان المقلد تقليداً جازماً صحيح ، ولو لم ينظر في الأدلة العقليّة ولا النقلية ولا الحسية ، لأنه جازم بدليل ثابت وهو دليل الفطرة المغروسة في نفسه وآيات الكون وشواهده ، وأما النظر العقلي والاستدلال فهو ليس بواجب على المكلف إلا على من بلغته الدعوة ولم يحصل عنده الاعتقاد الجازم ، أو كان لا يمكنه معرفة الحق إلا بالنظر ، فهذا يجب عليه أن ينظر.

فنقول : الصواب من هذه الأقوال أن الواجب على المكلف الجزم في مسائل

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٦٠).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص ٢٨ .

الاعتقاد ، يعني : عدم الشك ، أما التقليد وعدمه فإن الجازم سواء قلد في مسائل الاعتقاد أو لم يقلد فإيمانه صحيح.

قال القرطبي : (الذي عليه أئمة الفتوى ..أن على المكلّف الإيمان التصديقي الجزمي الذي لا ريب معه بالله تعالى ورسله وكتبه وما جاءت به الرُّسل كيفما حصل ذلك الإيمان وبأي طريق إليه توصّل) [1].

وبناءً على الكلام في التقليد نقول :

*** أقسام المسلمين بالنسبة لدخولهم في الإسلام :**

إن من أهل العلم من قسّم المسلمين إلى قسمين :

١- **القسم الأول مسلمة الدار** : وهم الذين نشأوا وولدوا على الإسلام ، فلم يعيشوا في الكفر ثم دخلوا في الإسلام برغبة ، وإنما ولد في بيت مسلم ووجد أهله ووالديه على الإسلام فاستمر على ذلك.

٢- **القسم الثاني مسلمة الاختيار** : وهم من اعتنقوا دين الإسلام عن علم وبصيرة بعد أن عرفوا الكفر ، ومثل هؤلاء يكون عندهم في الغالب من قوة الاعتقاد ما هو أكثر من عوام مسلمي الدار ، وهؤلاء أبعد من الشبهات والشكوك من أهل القسم الأول.

قال الناظم رحمه الله :

وأجبت عن تسآل كل مهذب ... ذي صولة عند الجدال مسود

هجر الرقاد وبات ساهر ليله ... ذي همة لا يستلذ بمرقد

(١) المفهم (١/ ١٨٢).

قوم طعامهم دراسة علمهم   يتسابقون إلى العلا والسؤدد

يقول الناظم : **أجبت** في هذه المنظومة عن تساؤل واستفسار كل **مهذب** ، وهو صاحب الأخلاق الحسنة والأدب الجم ، **ذي صولة** أي : صاحب سطوة واستطالة وقوة **عند الجدال** والمناظرة والمحاورة في المسائل ، مسوَّدٍ بين قومه لعلمه ودرايته. وفي بعض النسخ : (**ذي صولة يوم الجدال**).

وفي قوله : (**هجر**) ، أي أنه هجر النوم وأمضى ليله ساهراً في طلب العلم ، فهو صاحب همة عالية تجعله لا يستلذ بالنوم ، والهجر الترك ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ (المدثر : ٥) والرجز : الأصنام.. أي : دعها واترك عبادتها.

وقوله : (قوم طعامهم دراسة علمهم) أي : أصبحت دراسة العلم والقراءة والاطلاع والبحث والنظر : طعامهم الذي يقتاتون به ، وهم يتسابقون ويتنافسون في تحصيل العلا وبلوغه ، وتحصيل السيادة فالعِلم ، هو طريق الرفعة في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة : ١١). فمن أوتي العلم أصبح مطاع الكلمة بأمر الله في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: ٥٩) وأولي الأمر هم : العلماء كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره[١] أو هم أحد صنفيه.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٦) وقال ابن كثير بعد ذلك : والظاهر والله أعلم أنّ الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء .

*** كيف يعرف المكلَّف ربَّه؟ :**

والأبيات من بداية المنظومة إلى هذا البيت هي مقدمة الناظم لهذه المنظومة ، وبعدها شرع في شرح مسائل العقيدة.

فقال الناظم رحمه الله :

قالوا : بم عرف المكلف ربه؟ فأجبت : بالنظر الصحيح المرشد

من هذا البيت بدأ الناظم الشروع في لب المنظومة المراد منها ، وبدأ الحوار بين الناظم وسائله ، بهذا السؤال المهم عن كيفية معرفة المكلف لله تبارك وتعالى فقالوا : ما هي الطريقة وكيف السبيل لمعرفة المكلف -وهو العاقل البالغ- لربه تبارك وتعالى فأجاب الناظم بأن هذه المعرفة تكون بالنظر الصحيح الذي يرشد إلى معرفة الله تعالى وذلك بالتأمل والنظر : في ملكوت السماء والأرض والتفكر في آيات الله ومخلوقاته ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ (الأعراف : ١٨٥). وهذه آيات كونية دالة على عظمة الله وكبير قدرته، ومنه أيضاً النظر في الآيات الشرعية ، فإن فيها من الحكم ما يجعل الإنسان يوقن بأن هذا الدين من رب حكيم عليم بمصالح خلقه قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء : ٨٢) ، وبالنظر في الآيات الكونية والشرعية يصل المكلف إلى معرفة ربه تبارك وتعالى ، وهذا النظر يسمى عند علماء الكلام **بالنظر الساذج ؛ لأن النظر عندهم على قسمين :**

(١) **نظر ساذج** : وهو النظر في ظواهر الحس ، والتأمل في ملكوت الله ، في السموات والأرض والشمس والقمر والجبال الشجر والدواب وعظيم خلق الله

وآياته الشرعية وأحكامه.

(٢) **نظر متعمق** : ويعنون به النظر في البراهين المنطقية العقلية ، ويقولون : إن المكلف يعرف ربه بالنظر العقلي ، ولذلك يقولون : إن أول واجب على المكلف هو النظر العقلي المتعمق ، أو القصد للنظر ، أو الشك حتى يؤديه الشك للنظر. أما النظر الساذج فليس موصلاً عندهم للعلم.

وهذا خلاف ما كان عليه هدي النبي ﷺ ، لأنّه كان يدعو الناس أولاً إلى الإيمان بالله والتوحيد ، ولا يأمرهم بالنظر ، ولما بعث معاذاً إلى اليمن قال له ليكن أوّل ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله ، وفي رواية : إلى عبادة الله[١] فأوّل واجب على المكلف توحيد الله وإفراده بالعبادة ، لأنّ معرفة الله تعالى فطرية في نفوس البشر ، وإذا احتاج الإنسان لاستعمال النظر لفساد فطرته فإنّه يمكنه استعماله.

أما إيجاب النظر على الناس فهو أمر مبتدع.

ولذا يقول أبو الظفّر السمعاني : (وهذا القول – أي وجوب النظر – مخترع ، لم يسبقهم إليه أحد من السَّلَف وأئمة الدين ، ولو أنك تدبرت جميع أقوالهم وكتبهم لم تجد هذا في شيء منها فكيف يجوز أن يخفى عليهم أول الفرائض..)[٢].

والنظر إنما يجب على من لا يستطيع الوصول إلى الحق إلا عن طريقه ، فيكون النظر في البراهين العقلية واجباً عليه. وهذا بناء على القاعدة المعروفة : **ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب** وهذا الأمر ليس قاعدة متبعة ثابتة في سبيل معرفة

---

(١) صحيح البخاري (١٤٥٨) ؛ مسلم (١٩) . وانظر : فتح الباري (٣/ ٣٦١ ، ٣٥٧) .

(٢) الانتصار لأهل الحديث – ضمن مجموع صون المنطق ص١٧١ .

الحق ، لكنه ضرورة تلزم من يحتاج إليها للوصول إلى الحق ممن لم يصل إلى الاعتقاد الجازم لا عن طريق النظر البسيط ولا عن طريق التقليد ولم يجد ذلك في فطرته.

*** إثبات الكمال لله :**

ثم قال الناظم رحمه الله :

قالوا فهل رب الخلائق واحد؟ قلت الكمال لربنا المتفرد

هذا هو البيت الثاني من مسائل الاعتقاد ، أخبر فيه أنهم سألوه : **هل رب الخلائق واحد؟** فأجابهم وأخبرهم أن الكمال لربنا المتفرد ، وصاحب الكمال المتفرد به هو الخالق لهذا الكون ومن فيه ، وهو المالك له.

وقوله : (**المتفرد**) ، تسمية لله بما لم يرد في النصوص الشرعية ، وليس (المتفرد) اسماً من أسماء الله بل جاءت النصوص بتسمية الله بأنه : (أحد) و(واحد) في قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص : ١) وقوله : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ (البقرة : ١٦٣) ، ولكن هذا من باب الإخبار وليس من باب الوصف ، وباب الإخبار أوسع من باب الصفات ، فقد يخبر عن الله تبارك وتعالى بما ليس من صفاته إذا كان موافقاً لما ورد في الشرع، والفرق بين الصفة والخبر أن الصفة يستعاذ بها ويتوسل بها ، أما الخبر فإنه لا يستعاذ به ولا يتوسل به إلى الله ، ونظير هذا قولنا عن الله أنه شيء أو أنه موجود وأنه قائم بذاته ونحو ذلك ، فهو من باب الإخبار لا من باب الوصف أو التسمية.

وفي قوله : (**الكمال لربنا**) يصف الله تعالى بالكمال ، ونحن نؤمن بأن كل صفات الله تعالى صفات كمال ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ، كما أن له سبحانه

الأسماء الحسنى ، قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف : ١٨٠) فكذلك له الصفات العلى صفات الكمال.

وفي هذا البيت تقرير للتوحيد في قوله (**فهل رب الخلائق واحد**)... الخ.

*** أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة :**

والتوحيد عند أهل السنة والجماعة ينقسم إلى قسمين :

(١) **توحيد القصد والطلب** : وهو ما يسمى بتوحيد الألوهية أو العبادة.

(٢) **توحيد المعرفة والإثبات** : وهو ما يسمى بتوحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات.

وتوحيد الربوبية : هو إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير ، والبعض يقول: هو توحيد الله بأفعاله ، وهذا معناه أنّه لا خالق ولا رازق ولا متصرف إلا الله ، وقد كان المشركون يقرون بهذا كما قال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ (لقمان : ٢٥) فقد كانوا يقرون بأن الله هو الخالق المالك المتصرف الذي بيده ملكوت السموات والأرض ، وهو يجير ولا يجار عليه ، ولم يخاصم المشركون الأنبياء في الربوبية ؛ لأنه أمر فطري ، والقلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات ، كما قالت الرسل : ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (إبراهيم : ١٠).

وفرعون وقومه مع أنّهم تظاهروا بجحود الله تعالى وإنكاره كانوا مستيقنين به في الباطن كما قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ (النحل : ١٤).

أما توحيد الألوهية : فهو إفراد الله تعالى بأفعال العباد ، وهي العبادة. وهذا التوحيد هو ما دلت عليه كلمة التوحيد **لا إله إلا الله** بالمطابقة ؛ لأن معنى **لا إله إلا الله** ، لا معبود بحق إلا الله وهو معنى توحيد الألوهية. وهذا التوحيد هو الذي يقع فيه النزاع والخصام بين الرسل وأقوامهم ، فيقرون بتوحيد الربوبية ويشركون في العبادة بصرفها أو صرف شيء منها لغير الله. وقد جاء الأنبياء للدعوة إلى إفراد الله بالعبادة ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل : ٣٦) وهذا هو المقصود الأعظم والمطلوب الأكبر في التوحيد.

أما توحيد الأسماء والصفات : فهو إفراد الله بما وصف وسمى به نفسه وبما سماه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تكييف.

*** توحيد الألوهية أعظم أقسام التوحيد :**

ومن العجيب أن أعظم أنواع التوحيد خالف فيه بعض الناس وقالوا : هو توحيد الربوبية ، والصحيح أنه توحيد الألوهية ؛ لأنه يدل على معنى **لا إله إلا الله** مطابقة ، وهو : لا معبود بحق إلا الله كما تقدم ؛ لأن الإله هو المألوه ، والمألوه هو المعبود حباً وتعظيماً كما قال الشاعر :

لله دَرُّ الغانيات المُدَّهِ   سبّحن واسترجعن من تألُّهي

تأله يعني : تعبّد[1].

و(إله) اسم (لا) ، أما خبرها فهو محذوف وهذا كثير في خبر لا ، تقديره (حق)

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٢٢٣) . باب الهاء فصل الألف ، والبيت لرؤبة . وانظر : لسان العرب (١٣/ ٤٦٩) ؛ القاموس المحيط ص ١٦٠٣ ؛ جامع البيان للطبري (١/ ٨٢) .

يدل عليه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ (لقمان: ٣٠). ومعناها : **لا تصرف العبادة إلا لله وهو معنى توحيد الألوهية مطابقة ، وهذا هو قول أهل السنة. وقال** طائفة من المبتدعة : إن معنى **لا إله إلا الله** : أي : لا خالق إلا الله ، وعندهم أن من قال : لا خالق إلا الله ، فهو موحد وإن طاف بالقبور وسجد لغير الله ولذا يجعلون الخبر المحذوف تقديره : موجود ، لأنه لا خالق موجود إلا الله.

وهذا خطأ في اللغة وقد سبق بيان معنى الإله. والقرآن إنما جاء بلغة العرب فلا يفسّر بغيرها ، كما أنّه مخالف لما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما : الله : ذو الألوهيّة والعبوديّة على خلقه أجمعين[1].

*** والفرق بين هؤلاء المبتدعين وبين أهل السنة والجماعة في ثلاثة أمور:**

١ . **الفرق الأول** : أهل السنة يقولون : توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية كلاهما مطلوب مقصود ، ويتوصل لإثبات توحيد الإلهية بتوحيد الربوبيّة الذي لا نزاع فيه فإذا علمت أن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر أوصلك إلى صرف العبادة لله وحده دون ما سواه ، أما المبتدعة فيقولون : إن توحيد الربوبية هو الغاية ، فمن اعتقد أنه لا خالق إلا الله فهو موحد وإن صرف العبادة لغير الله تعالى ، وهذا قول خاطئ.

٢ . **الفرق الثاني** : أهل السنة والجماعة يقولون : توحيد الربوبية شيء فطري ، تدل عليه الفطرة ، أما المبتدعة فيقولون : إنه نظري ، أي أنه لا بد له من أدلة وبراهين تدل عليه.

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٧).

٣. **الفرق الثالث** : المبتدعة يقولون : توحيد الربوبية هو كل التوحيد ، فتقول : **لا إله إلا الله** ، أي : لا خالق إلا الله ، ومن قال : لا خالق إلا الله فهو كامل التوحيد وإن أشرك في الألوهية. وأهل السنة والجماعة يقولون : **توحيد الربوبية ركن من أركان التوحيد** ، لأن التوحيد ثلاثة أقسام كما سبق ذكرها ، فإذا انخرم ركن كتوحيد الألوهية فإنه فلا يكون الإنسان موحداً ، فهو ركن من أركان الإيمان وليس هو الإيمان كله ، و**لا إله إلا الله** تدل عليه بالاقتضاء ، وتدل على توحيد الألوهية والعبادة بالمطابقة.

*** أقسام دلالات الألفاظ :**

لأن دلالة الألفاظ على مسمياتها على ثلاثة أقسام :

(١) دلالة المطابقة : وهي **دلالة اللفظ على تمام المعنى الموضوع له.** مثلاً : كلمة بيت تدل على الجدران والسقف والغرف ، فكل هذا بيت.

(٢) دلالة التضمن : وهي **دلالة اللفظ على جزء مسماه** ، مثلاً : كلمة بيت تدل على الجدار وحده وتدل على السقف وحده دلالة تضمن ، يعني أن الجدار والسقف كل منهما جزء من البيت.

(٣) دلالة التزام : **معناها دلالة اللفظ على أمر خارج عنه لازم لمسماه** ، مثل لفظ بيت يدل على وجود الفرش والأثاث ؛ لأنك إذا قلت : بيت ، يتبادر إلى ذهنك أنه لابد من وجود فرش ولا بد من وجود أثاث في البيت لكن كلمة بيت لا تدل على فراش وأثاث بذاتها.

وكدلالة لفظ سقف على الجدار ، لأنه لا يوجد سقف بدون جدار.

ومما سبق من دلالات الألفاظ على مسمياتها يتضح لنا أن كلمة التوحيد **لا إله إلا الله** تدل على توحيد الألوهية والعبادة بدلالة المطابقة ؛ لأن معنى **لا إله إلا الله** هو: **لا معبود حق إلا الله** ، ومعنى توحيد **العبادة هو : ألا تصرف عبادة إلا لله** ، وتدل على النوعين الآخرين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات بدلالة الالتزام ؛ **لأنه يلزم من عدم صرفنا العبادة إلا لله أن يكون هو الخالق المالك المتصرف المتفرد بالربوبية ، ويلزم من عدم صرفنا العبادة إلا لله أن يكون له الأسماء الحسنى والصفات العلى ؛ لأنك لا تعبد إلا من له الكمال في ذاته وأسمائه وصفاته ، فعبادتك** لله وتحقيق الألوهية له يستلزم منه إيمانك بأسماء الله وصفاته وأنه الرب الخالق المالك المتصرف في هذا الكون ، فأنت لا تعبد إلا الكامل الذي خلقك ورزقك.

وقول الناظم (**رب الخلائق واحد**) ساقنا إلى الكلام عن توحيد الربوبية ولو كانت الإشارة إلى توحيد الألوهية لكان أولى ؛ لأنه أهم ، ولأنه هو الذي حصلت فيه الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم.

*** نفي التشبيه وإثبات الصفات لله :**

قال الناظم رحمه الله :

قالوا : فهل لله عندك مشبهٌ ... قلت : المشبه في الجحيم الموصد

قال الناظم رحمه الله : (**قالوا**) يعني : سألني هؤلاء (**فهل لله عندك مشبه**) المُشْبه يقصد به : الشّبيه والمشابه ، فسؤالهم : هل تقول : إن لله شبيهاً؟ قال : (**قلت : المشبه في الجحيم الموصد**). يعني : الذي يشبه الله بخلقه أو يشبه الخلق بالله فهو في الجحيم الموصد ، يعني : النار ، و(**الموصد**) المغلق ، يقال أوصدت الباب أغلقته ، فهو موصد .

*** الفرق بين التشبيه والتمثيل :**

(الشبيه) هو المساوي في أكثر الصفات ، فإذا قلت : فلان شبيه فلان ، أي : يساويه ويماثله في أكثر الصفات. أما (المماثل) فهو المساوي في جميع الصفات من كل وجه ، فإذا قلت : فلان مثل فلان ، أي : أنّه مساويه في جميع صفاته ويساويه في جميع خصائصه ، ومن هذا نعرف أنّ الشّبيه أقل من المثيل.

*** الفرق بين التشبيه والتمثيل وبين التكييف :**

والفرق بين التمثيل والتشبيه وبين التكييف من وجوه :

الوجه الأول : أننا نؤمن أن لصفات الله كيفية ولكننا لا نعلم هذه الكيفية.

الوجه الثاني : التكييف هو إثبات كيفية صفات معينة سواء كانت مطلقة أو مشابهة لصفات معينة ، أي : نقول : كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا سواء كانت مشابهة لصفات المخلوقين أو غير مشابهة لصفات المخلوقين ، فإذا أثبتنا كيفية معينه لصفة لله تعالى ، فهذا هو التكييف ، ويكون تكييفاً يقتضي المشابهة بأن نقول هذه الكيفية مماثلة لكيفية صفات العبد وقد لا تقتضي المشابهة بأن نصفها بشيء ليس كصفات المخلوقين.

الوجه الثالث : أن التكييف يختص بالصفات ، أما التشبيه فيكون في القدر وفي الصفة وفي الذات ، فقد تشبه ذات الله تعالى بذات المخلوقين ، وتشبه صفات الله بصفات المخلوقين ، وقد تشبه قدر الله تعالى بقدر بعض المخلوقين ، أو بالعكس ، فترفع من مكانة المخلوقين حتى تجعلهم مساوين ومشابهين لقدر الله أو لصفاته.

*** نفي التشبيه من أصول أهل السنة والجماعة :**

والتشبيه الذي نفاه الناظم في هذا البيت من أصول أهل السنة ، فليس لله

سبحانه وتعالى شبيه يقول تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى : ١١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه الآية : إنّها دستور أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات ؛ لأن هذه الآية في أولها نفي الشبيه عن الله تعالى ، وفي آخرها إثبات صفات لله تعالى ، أولها : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وآخرها : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فأول الآية ينفي مشابهة الله تعالى لخلقه ، وآخرها يثبت الصفات لله تعالى ، والمعنى أن أهل السنة على طريقة الإثبات دون التشبيه ، فيثبتون لله تعالى الصفات مع نفي المشابهة. وليس نفي المشابهة عند أهل السنة نفياً للصفات. بل نفي لكون هذه الصفات مشابهة لصفات المخلوق ، ولذا قال نعيم بن حمّاد : من شبّه الله بشيء من خلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه ، فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه.

وقد اختلف الناس في معنى الكاف من قوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ على قولين ، والقولان كلاهما لا مانع منها ، لتضمنها معنىً صحيحاً.

(١) **فالقول الأول أن هذه الكاف صلة** : وإذا قيل هذا الحرف صل فالمعنى أنّه حرف زائد لأجل التأكيد ، ولكن يعبّرون في القرآن بقولهم : صلة ، ولا يعبرون بكلمة (زائد) تأدباً مع كتاب الله تعالى، وإذا كان هذا الحرف زيد للتأكيد فالمعنى : ليس مثل الله شيء وليس مثل الله شيء.

(٢) **القول الثاني أن الكاف على أصلها** : فيكون معنى الآية : ليس مثل مثل الله شيء ، والمعنى من قوله : ليس مثل مثله شيء ، أنه إذا انتفى مثيل المثل فانتفاء المثل من باب أولى ، فإذا كان ليس مثل مثله شيء فمن باب أولى ليس مثله شيء .

وقد يكون المثل بمعنى الذات فيصير المراد : ليس مثل الله شيء.

*** أقسام التشبيه :**

والتشبيه ينقسم إلى قسمين :

١-**القسم الأول تشبيه الخالق بالمخلوق** : وهو الذي يذكر في باب الأسماء والصفات فيقال : إن صفات الله تعالى تشبه صفات المخلوقين أو يقال : إن ذات الله تعالى تشبه ذوات المخلوقين ، فإثبات هذا الشبيه تشبيه للخالق بالمخلوق وهذا منفي عن الله تعالى وإنما يقول به المشبهة.

ومشابهة الله تعالى لخلقه منفية شرعاً وعقلاً :

- منفية شرعاً بهذه الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فالشرع نفى أن يكون هناك شبه بين الخالق والمخلوق.

- ومنفية عقلاً بأننا نؤمن بأن الله تعالى هو الخالق الذي أوجد الخلق من العدم، ومن كان كذلك فإنه يمتنع أن يكون مشابهاً لخلقه الضعيف العاجز.

٢- **القسم الثاني تشبيه المخلوق بالخالق** : وهو أن تشبه العباد بالله سبحانه وتعالى ، ومعنى هذا القسم أن تثبت للمخلوق شيئاً من خصائص الله تعالى ، وفي هذا التشبيه منافاة لنوع أو أكثر من أنواع التوحيد ، لأنّ تشبيه المخلوق بالخالق قد يكون تشبيهاً له في أفعاله ، وقد يكون تشبيهاً له في صفاته ، وقد يكون تشبيهاً له في حقوقه.

فالقسم الأول تشبيه المخلوق بالخالق في أفعاله ، وهذا شرك في توحيد الربوبية ، فمن أثبت خالقاً مع الله أو أثبت مدبراً مع الله تدبيراً كونياً أو تدبيراً شرعياً فإنه في ذلك يكون قد شبه المخلوق بالخالق في أفعاله ، و وهذا ينافي توحيد الربوبية.

القسم الثاني : تشبيه المخلوق بالخالق في صفاته ، وهذا شرك في توحيد الأسماء والصفات ، وهذا يقع من بعض الغلاة الذين يغلون في النبي عليه الصلاة والسلام فيثبتون له شيئاً من خصائص الله تعالى وصفاته ، وقد يقع من بعض الناس تشبيه للمخلوق بالخالق ولو لم يكن هذا المخلوق من العباد الصالحين الزهاد ، بل يكفي أن يكون حاكماً أو كبيراً أو مقدماً أو أميراً ، ومن ذلك قول المتنبئ يمدح شخصاً فقال :

فكن كما شئت يا من لا شبيه له وكيف شئت فما خلقٌ يدانيك[(١)]

وهذا تشبيه للمخلوق بالخالق في صفاته.

القسم الثالث : تشبيه المخلوق بالخالق في حقوقه ، وهذا شرك في توحيد الألوهية ، أي في الحقوق التي تثبت للخالق ؛ فإن حق الخالق على الخلق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وهذا هو توحيد الألوهية ، فإذا صرفت شيئاً من أنواع العبادة إلى مخلوق تكون قد شبهت هذا المخلوق بالله تعالى في حقوقه.

يقول المؤلف: (**المشبه في الجحيم الموصد**)، لأنّ المشبه من الفرق الضالة ، وقد أخبرنا النبي ﷺ : (**أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**)[(٢)] ، فيشمل هذا الفرق التي تشبه الله تعالى بخلقه وتشبه الخلق بالله.

---

(١) ديوان المتنبي (١/ ١٠٥) .

(٢) سنن الترمذي (٢٦٤٠) ؛ سنن أبي داود (٤٥٩٦) ؛ سنن ابن ماجه (٣٩٩١) ؛ مسند أحمد (٢/ ٣٣٣) ؛ وصححه ابن حبان (٢٦١٤) ؛ والحاكم (١/ ١٢٨) ووافقه الذهبي . وله طرق وروايات وألفاظ .

* قواعد في الأسماء والصفات :

وهذه أول قاعدة في باب الأسماء والصفات يذكرها المؤلف وهي نفي الشبيه والمثيل عن الله تعالى ، فلا نشبه صفات الله تعالى بصفات الخلق ، وذكر الناظم في البيت الذي يلي هذا.

القاعدة الثانية من قواعد الصفات : وهي إثبات الصفات لله تعالى.

فأولاً نقول : ليس كمثل الله شيء فننفي الشبيه والمثيل ، والقاعدة الثانية إثبات الصفات ، والمعنى أننا نثبت الصفات إثباتاً ليس فيه تشبيه ، والسبب في تقديم الكلام في نفي الشبيه قبل الكلام في إثبات الصفات : أنّ من أنكر الصفات أو حرَّف الصفات أو أوّل الصفات وصرفها عن ظاهرها ؛ يستدل على مذهبه بأنه يريد من ذلك نفي الشبيه عن الله تعالى ، أو كما يقولون : نريد تنزيه الله تعالى ، فهنا إما أن **يكونوا كالغلاة** الذين قالوا : لا نثبت لله تعالى الصفات مطلقاً ، فنقول : الله حيٌّ بلا حياة ، وسميع بلا سمع ، وبصير بلا بصر ، وينفون هذه الصفات لئلا يلزم من ذلك تشبيه الله تعالى بخلقه ، أو يكونوا كبعض الفرق التي تثبت بعض الصفات التي دل عليها العقل وتحرّف باقي الصفات ، وتحريفهم لباقي الصفات لأن هذه الصفات يقتضي إثباتها عندهم تشبيه الله تعالى بخلقه ، فلما قدّم الناظم الكلام على نفي الشبيه عن الله تعالى بعد ذلك قرر مسألة إثبات الصفات ، ليفهم من يقرأ هذه المنظومة أنه إثبات بلا تشبيه.

- الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات :

ومن قال : إن إثبات الصفات لله تعالى يقتضي التشبيه ، يجاب عنه **بأنَّ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات** ، فنقول : أنت تثبت لله تعالى ذاتاً ، ومعلوم

أن لكل مخلوق ذاتاً ، فهل إثباتك الذات لله تعالى يقتضي تشبيه الخالق بالمخلوق؟ فإذا قال : لا ، لا يقتضي التشبيه بل أُثبتُ لله تعالى ذاتاً تليق به ، وأُثبتُ للمخلوق ذاتاً تليق به. فنقول : **الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، فكما أثبتَّ لله تعالى ذاتاً تليق به لا تشبه ذوات المخلوقين ، فأثبت لله تعالى صفات تليق بالله تعالى لا تشبه صفات المخلوقين** ، فلله سمع يليق به لا يشبه سمع المخلوقين ، وله بصر لا يشبه بصر المخلوقين ، وله نـزول يليق به لا يشبه نـزول المخلوقين ، إلى آخر الصفات.

الأمر الآخر أن كل الموجودات لابد من وجود قدر مشترك بينها ، فنقول للذي ينفي الصفات أو يحرف الصفات أو يؤولها لغرض نفي التشبيه ، كل الموجودين لا بد بينهم من قدر مشترك ، فأنت تثبت أن العبد موجود وتثبت أن الله تعالى موجود ، وإثبات الوجود للخالق وإثباته للمخلوق لا بد فيه من قدر مشترك ، فإذا قال : أنا أثبت وجوداً لله يليق به وأثبت وجوداً للمخلوق يليق به ، فوجود المخلوق قاصر ؛ لأنه مخلوق ولأنه يلحقه الفناء ، أما الله تعالى فهو الأول قبل كل شيء فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء ، فنقول : كما أثبت هذه الصفة أثبت باقي الصفات ، لأنَّ كل موجودَين ، في الدنيا لابد بينهما من قدر مشترك ، فإذا نفى القدر المشترك بينهما صار هذا الوجود ليس وجوداً حقيقياً ؛ **لأنَّ الموجودات على قسمين :**

١- **إما موجودات حقيقية** : يعني لها وجود في الحقيقة. فهذه الموجودات الحقيقية لا بد من وجود قدر مشترك بينها.

٢- **وإما موجودات ذهنية** : فهي موجودة في ذهن الإنسان قد يتوهمها ، ولا يلزم من ذلك أن تكون موجودة في الحقيقة .

فنقول : **الموجودات الحقيقية لا بد أن يكون بينها قدر مشترك.**

ويتبين ما سبق أكثر بمعرفتنا لقاعدةِ الأسماء ودلالتها على المعاني فإنة الأسماء على أنواع :

١. **المترادف** : وهو ما اتفق معناه واختلف لفظه ، مثل : الأسد والليث ، اسمان يدلان على حيوان مفترس معروف .

٢. **المتباين** : وهو ما اختلف لفظه ومعناه ، مثل : السماء والأرض.

٣. **المشترك** : وهو ما اتفق لفظه واختلف معناه ، مثل : إطلاق المشتري على البائع وعلى الكوكب ، ومثل إطلاق العين على العين الباصرة وعلى عين الماء وعلى الذهب وعلى الجاسوس ، هذه كلها نطلق عليها عين مع أنّ كل واحد منها يختلف عن الآخر .

٤. **المتواطئ** : وهو ما اتفق لفظه واتفق معناه وينقسم إلى قسمين :

(١) **متواطئ عام** : وهو ما استوى معناه في أفراده كالإنسان ، فإن حقيقتها متساوية في جميع أفراد وإنّما التفاضل في أمور زائدة على مطلق الماهيّة ، فزيد مختلف عن عمرٍو مع إنهما متفقان في وصف الإنسانية .

(٢) **المتواطئ المشكك** : ومعناه : اللفظان المتفقان في اللفظ والمعنى ، لكن معناه متفاوت في أفراده بالقوّة والضعف ، أو الأوّليّة أو الأولويّة ، مثل : ضوء الشمس وضوء السراج، فهذه الإضاءة الكهربائية البسيطة تسمى نوراً وتسمى ضوءاً، وكذلك الشمس يسمى ما فيها نوراً ويسمى ضوءاً ، فالمعنى واحد ، كلاهما نور ، لكن ليس هذا هو هذا ، ومثل يد الإنسان ويد الذرة ، ويد الفيل ، فهذه يد حقيقية

وهذه يد حقيقية وتلك يد حقيقية ، لكنها ليست متساوية ولا متماثلة في معناها ولا في كيفيتها بل هي متفاوتة في المعنى غير متساوية فيه ، وإن اشتركت في أصله .

وإذا أردنا أن نعرف علاقة أسماء الله تعالى وصفاته المخلوقين فإنها من قبيل المتواطئ المشكك فالله تعالى رحيم والرحمة معروفة المعنى ثابتةٌ له ، والمخلوق قد يكون رحيمًا والرحمة معروفة المعنى ولكن رحمة الله تعالى ورحمة المخلوق غير متساويتين في المعنى بل تتفاوت تفاوتًا عظيمًا كتفاوت المخلوق عن الخالق وهكذا في البقية .

ولأنّ الله تعالى خاطب العباد باللغة العربية ، كما قال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء : ١٩٥) وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ (الزخرف : ٣) فالسامع لكلام الله تعالى لا بد أن يفسّره على مقتضى كلام العرب الذي يفهمونه ، وهذا هو حقيقة الإشكال الذي يرد عند هؤلاء الذين يشبهون صفات الله تعالى بخلقه أو الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون بصرف اللفظ عن ظاهره ، لأنّها تقتضي التشبيه فنقول : إذا خاطبت أحداً بألفاظ معينة فهذه الألفاظ التي تريد أن تعبر بها عن المعاني التي تريدها لا بد أن يكون فيها قدر مشترك مع ما يفهم المخاطَب ، فمن خلاله يفهم المعنى ، فالله تعالى وصف لنا ما في الجنة ، وأن في الجنة أصناف المطاعم والملابس والمناكح والمساكن ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : (ليس شيء مما في الجنة يشبه ما في الدنيا إلا في الاسم) فنؤمن بأن الذي في الجنة نساء حقيقية ، ونؤمن بأنها خمر حقيقية ، ونؤمن بأنها فاكهة حقيقية ، ونؤمن بأنه رمان حقيقي ، ونؤمن بأن في الجنة فرشاً حقيقية إلى آخر هذه النصوص ، مع أننا

نؤمن بأن هذه الأشياء تخالف ما نعرفه في الدنيا ، وكذلك نثبت لله تعالى الصفات التي يفهمها العرب من كلامهم وإطلاقاتهم واستخدامهم للفظ الدال على هذه الصفة ، ولا نجعل هذه الصفة مشابهة لصفات المخلوقين.

يقول الناظم رحمه الله :

قالوا : فهل تصف الإله أبن لنا؟ قلت : الصفات لذي الجلال السرمدي

بعد أن سألوه عن التشبيه ، (قالوا : **فهل تصف الإله؟**) يعني : هل تثبت الصفات لله تعالى وتضيفها له (**أبن لنا**) : يعني : وضح لنا ، والتبيين هو : التوضيح. فأجابهم فقال : (قلت الصفات لذي الجلال السرمدي) يعني : أنا أثبت الصفات لله تعالى فبيّن أنّه يثبت الصفات بعد أن بين في القاعدة السابقة أنه ينفي الشبيه.

قوله (**لذي الجلال السرمدي**) الله تعالى هو ذو الجلال والإكرام ، وقوله (**السرمدي**) يعني : هو الدائم في طرفي الزمان. لأن الزمان له طرفان ، ماضٍ ومستقبل ، فالسرمدي يعني : الذي يدوم في طرفي الزمان ، أي : الذي يدوم في الأزل ويدوم في الأبد. لكن تسمية الله تعالى بأنه (السرمدي) لم ترد في الكتاب ولا في السنة ، وعندنا قاعدة في باب الأسماء والصفات وهي : **أننا لا نثبت لله تعالى اسماً ولا صفة إلا إذا أثبتها الكتاب والسنة** ، والكتاب والسنة لم يصفا الله تعالى بأنه سرمدي إنما وصفاه بأنه الأول والآخر ، فنقول : إن هذا اللفظ ليس من باب وصف الله تعالى ، إنما هو من باب الإخبار عن الله ، ولا بد في الإخبار عن الله أن يكون ما يخبر به عن الله تعالى معناه موافق لما أثبته الله تعالى لنفسه ، وهنا أخبر عن الله بأنه هو السرمدي ، وهي صفة معناها ثابت في كتاب الله ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿هُوَ

ﱡﭐﱂ ﱃﱠ (الحديد : ٣) يعني هو الدائم فليس يلحقه فناء وهو الأول لم يسبقه عدم ، هذا هو المعنى الذي يريده هنا ، لكن **التعبير بالألفاظ الشرعية هو الأولى.**

- الجمع بين النفي والإثبات في باب الصفات :

ويلاحظ من تركيب هذه الأبيات أنه نفى الشبيه ثم أثبت الصفات إتباعاً لطريقة الآية الكريمة : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى : ١١) فنفى المشابهة ثم أثبت الصفات ، وكذلك الناظم أراد أن يقرر ذلك فبدأ بنفي الشبيه ثم بعد ذلك أثبت الصفات لله تعالى. والحقيقة أن من حرّف الأسماء والصفات إنما حرّفها بسبب أن قلبه قد أشرب التشبيه ، فهو لا يتصور في قلبه إثباتاً إلا على مقتضى التشبيه ، وإلا لو سلم قلبه من التشبيه لأمكن له أن يتصور إثباتاً لا تشبيه فيه.

*** أقسام صفات الله عز وجل :**

وصفات الله تعالى على نوعين :

(١) **صفات ذاتية** : **وهي الصفات التي لا تنفك عن الله تعالى** ، مثل الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة.

(٢) **صفات فعلية** : **وهي الصفات التي تتعلق بالمشيئة** ، بمعنى أنه إذا شاء الله تعالى فعلها ، مثل : الخلق والنزول والإحياء والبعث والمجيء.

والصفات الفعلية تنقسم إلى قسمين :

أ. **صفات فعلية متعدية** : مثل الخلق والرزق ، فكون الله تعالى يرزق العباد ، ويخلق العباد وأنه تعالى يخلق السموات والأرض ، هذه كلها صفات فعلية متعدية.

ب. **صفات فعلية غير متعدية :** مثل النزول والمجيء لفصل القضاء.

* أركان الإيمان بالأسماء والصفات :

إثبات الأسماء والصفات لله تعالى يتضمن ثلاثة أركان :

١. **الركن الأول : الإيمان بالاسم :** ففي قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى : ١١) نثبت ونؤمن أن من أسماء الله السميع ، وأن من أسماء الله البصير ، وفي قوله : ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ (البقرة : ٢٥٥) نثبت أن من أسماء الله تعالى الحي ، ومن أسماء الله تعالى القيوم ، وهكذا.

٢. **الركن الثاني : أن نثبت لله الصفات التي أثبتها لنفسه :** فنثبت لله تعالى المجيء الوارد في قول الله تعالى : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ (الفجر : ٢٢) ونثبت لله الكلام ونثبت لله تعالى السمع لقوله : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ (المجادلة : ١) ، ونثبت الصفات التي تضمنتها الأسماء ، فإن الصفات منها ما تضمنته الأسماء ومنها ما لم يتضمنه اسم ، والذي تضمنه اسم مثل : الحي ، يتضمن أن الله تعالى صفته الحياة ، والسميع يتضمن أن صفة الله تعالى السمع ، والبصير يتضمن أن صفة الله تعالى البصر ، والقيوم يتضمن أن صفة الله تعالى القيومية ، فهذه الصفات تضمنتها أسماء ، فإذا أثبتنا الاسم نثبت الصفة التي يتضمنها هذا الاسم ؛ لأن كل اسم فهو متضمن لصفة ، وكذلك نثبت الصفات التي لا تتضمنها أسماء مثل: المجيء والنزول والاستواء على العرش.

٣. **الركن الثالث إثبات أثر هذه الصفة إذا كانت متعدية :** فإيماننا بأن الله تعالى

هو الخالق يقتضي أن نثبت لله تعالى صفة الخلق ، ويقتضي أن نقول : إن كل ما في الكون من حركة وسكون فهو مخلوق لله تعالى وهكذا ، فنثبت أثر هذه الصفات.

قال الناظم رحمه الله :

قالوا : فهل تلك الصفات قديمة كالذات؟ قلت : كذا لم تتجدد

الناظم رحمه الله في هذا البيت يشير إلى قاعدة : (**الكلام في الصفات فرع من الكلام في الذات**). يعني أنهم سألوه : هل صفات الله التي تثبتها له قديمة كالذات؟ **لأن ذات الله قديمة**؟ قال : **إنها لم تتجدد** ، ومعنى التجدد : أن يحدث الشيء بعد انقطاعه ، فإذا انقطع الشيء ثم حدث فهذا يقال له قد تجدد ، كما إذا كان الشخص جالساً ثم قام فإن قيامه قد تجدد له بعد القعود ، فيقول : إن صفة الله تعالى لم تتجدد بل هي قديمة.

- إطلاق القدم على ذات الله وصفاته :

وهنا وصف ذات الله تعالى بالقدم ، وعند السلف أن القديم ليس من أسماء الله تعالى ، وليس القدم من صفات الله تعالى ؛ **لأن قاعدة الأسماء والصفات : أنها توقيفية** ، فلا نثبت لله تعالى اسماً أو صفة إلا ما جاء في الكتاب والسنة ، ولم يرد في الكتاب والسنة وصف الله تعالى بأنه قديم ، ولا تسمية الله تعالى بالقديم ، ولذا نقول : ليس من أسماء الله تعالى القديم ، ونقول : إن القدم ليس من صفات الله تعالى ، لكن باب الإخبار عن الله أوسع من باب الصفات ، فإذا أخبر إنسان عن الله تعالى بأنه قديم فهذا الإخبار قد يكون مقبولاً ؛ لأن المراد بالقدم هو ما دل عليه اسم الله تعالى **الأول** ، فالله تعالى هو الأول ، وهم يريدون بقولهم : قديم هذا المعنى وإلا

فاللغة لا تطلق القديم على الأول الذي ليس قبله شيء ، وإنما يطلق القديم في اللغة على المتقدم على غيره ، فإذا كان الشيء قد تقدم على غيره فإنه يسمى قديماً ، ولو لم يكن هو الأول الذي ليس قبله شيء ، ففي قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ (يس : ٣٩) وصف العرجون بأنه قديم ، ولا يعني هذا أنه أوّلٌ ليس قبله شيء ، بل المعنى أنه متقدم على العرجون الجديد ، ولذا معنى القديم قاصر عن معنى الأول ، وبعض من يصف الله تعالى يذكر أن صفاته قديمة يعني بهذا أنها ليست مخلوقة وهنا لعلنا نحمل كلامه على هذا المراد إحسانًا للظن به.

- تجدد الصفات الفعلية وحدوثها :

قال : (**كذاك لم تتجدد**) يقصد إنها ليست مخلوقة بل إنها ثابتة لله تعالى ، وأنّه لم يتجدد له وصف لم يكن له .

وقوله : (**لم تتجدد**) قد يُفهم منه أن الناظم رحمه الله يقول بقول من ينفي عن الله تعالى الصفات الفعلية ، ويزعم إن إثبات الصفات الفعلية لله تعالى يقتضي حدوثها وتجدد شيء لله لم يكن ، وهذا الحدوث لا يحل إلا بحادث ، فإذا أثبتنا حلول هذه الحدوث بالله فإننا ننفي عن الله تعالى صفة القدم ، ولأجل هذا فبعض المبتدعة ينفي عن الله الصفات الفعلية ، وكذلك يجعلون الصفات الذاتية كالعلم والسمع و البصر صفات قديمة ولا تتجدد عند وجود متعلقها ، وهذا المعنى يمكن أن يُفهم من كلام الناظم ، ولكن لعل الناظم رحمه الله إنما أراد بقوله : (**لم تتجدد**) يعني : أنها غير مخلوقة ، وإن كان استعماله للفظ (قديم) لا ينبغي لأنه مع كونه لم يرد ، فهو أيضاً مشابهة لقول هؤلاء المبتدعة الذين يقولون : إن صفات الله قديمة ، ويقصدون نفي الصفات الفعلية وتجدد الذاتية ، أما أهل السنة فيثبتون لله تعالى الصفات الفعلية التي تتعلق بالمشيئة ، فلم يزل الله تعالى ولا يزال يوجد أفعاله شيئاً

فشيئاً مع أنَّ اتصاف الله تعالى بنفس الصفة الفعلية ثابت أزلاً ، كما يثبتون الصفات الذاتية ويثبتون عند وجود متعلقها تجدد صفة أخرى دون انتفاء السابقة فمثلاً لا يمكن لأحد أن يتصور أن الله تعالى استوى على العرش قبل أن يخلق العرش و كذلك فإن الله تعالى يعلم كل شيء قبل حدوثه ويعلمها بعلم آخر عند حدوثها ، وتأمل قول الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ (البقرة : ١٤٣) ولا ريب أن الله تعالى كان عالماً بأنه سيكون[١] .

والذين يقولون إننا ننفي الصفات الفعلية أو تجدد الذاتية عن الله تعالى لأجل أن لا نقول بحلول الحوادث في الله ، نقول لهم : إن الله تعالى أثبت لنفسه أنه خلق العرش ثم استوى عليه وأنه يسمع ويرى خلقه ، وإذا قلنا : إن هذه الأفعال ليست حادثة لله بل إنها ملازمة لله تعالى في الأزل فمعنى هذا أن نقول : إن الله تعالى استوى على العرش قبل أن يخلق العرش ، ولذا **فإن أهل السنة يثبتون لله تعالى الصفات الفعلية وتجدد الذاتية ويقولون : إن الله تعالى لا يزال يوجد أفعاله شيئاً فشيئاً وهذا يدل على كمال الله تعالى وهو مقتضى أدلة الكتاب والسنة .**

وأما حلول الحوادث الذي يذكرونه فإننا نقول فيه : إن كلمة (حلول الحوادث) لفظ مجمل ، ولم يأتِ في القرآن أو السنة نفي حلول الحوادث عن الله وكذلك لم يأت في القرآن أو السنة إثبات حلول الحوادث في لله ، فهذا اللفظ لا نطلقه بنفي ولا إثبات ، لكن نقول : إن أردتم بحلول الحوادث أن الله تعالى يفعل ما يشاء متى شاء فهذا نثبته ولا يكون لفظكم المبتدع واستعمالكم لمثل هذه المصطلحات سبباً

(١) انظر : الرد على المنطقيين ص ٤٦٤ .

للعدول بنا عن كتاب ربنا وعن سنة نبينا عليه الصلاة والسلام. وأما إن أردتم بحلول الحوادث حلول المخلوقات به فهذا منفي عن الله تعالى وهذا يُظهر لنا أن استعمال المتكلمين للألفاظ غير الشرعية أوردهم لمثل هذه الالتزامات التي التزموها فعطّلوا بها النصوص(١).

لما تطرق المؤلف رحمه الله للكلام عن الصفات ناسب أن نذكر الفرق بين الاسم والصفة، ويتلخص الفرق بينهما في أربعة أمور:

١. **الأمر الأول: أن الاسم علم على ذات الله تعالى**: مثل العلي، والرحمن، والملك، والسلام، والمؤمن، والمهيمن، هذه كلها أسماء وأعلام على ذات الله تعالى، أما الصفة فإنها تضاف إلى الله تعالى مثل: قدرة الله، وسمع الله، وبصر الله، فالاسم: القدير، والصفة: القدرة، فالصفة هي التي تضاف إلى الله أما الاسم فهو العلم على ذات الرب تعالى.

٢. **الأمر الثاني: أن الاسم تدعو به الله تعالى**: كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٨٠) فالإنسان يدعو الله بأسمائه، يقول: يا قدير، يا حي، يا الله، يا رحمن، أما الصفة فإنك لا تدعوها، فلا تقول: يا قدرة الله، يا وجه الله، يا يد الله، يا رحمة الله(٢).

---

(١) انظر إن شئت في هذه المسألة: شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص ١٨٠ وما بعدها في هذه المسألة وما انبنت عليه.

(٢) في تلخيص كتاب الأستغاثة لابن تيمية ص ٨٠: (إن مسألة الله بأسمائه وصفاته جائزٌ مشروع كما جاءت به الأحاديث، وأما دعاء صفاته وكلماته فكفر باتفاق المسلمين، فهل يقول مسلم: يا كلام الله اغفر لي وارحمني؟).

٣. **الأمر الثالث : أن الاسم يعبّد لله** : فيسمي الإنسان نفسه أو ابنه : عبدالقادر ، عبد الملك ، عبد السلام ، عبدالرحمن ، عبدالله ، أما الصفة فلا ، فلا يسمّى أحد : عبد القدرة ، ولا عبد المشيئة ، ولا عبد الإرادة ، إنما هذا خاص بالأسماء.

٤. **الأمر الرابع : أن كل اسم تؤخذ منه صفة** : فتأخذ من اسم الله تعالى : الحي، صفة : الحياة ، والقدير ، صفة : القدرة ، واسم الله تعالى : القيوم ، صفة القيومية ، وهكذا.

لكن الصفات لا يؤخذ منها أسماء ، فالله سبحانه وتعالى من صفاته الاستواء على العرش ، لكن لا يسمى الله تعالى المستوى ، ومن صفات الله تعالى النزول إلى السماء الدنيا ، لكن لا يشتق له اسم من هذه الصفة .

* من الأحكام المتعلقة بالصفات :

(١) دعاء الصفة : ذكرنا أن الصفة لا تُدعى ، وقلنا : **إن دعاء الصفة حرام.**

(٢) الاستغاثة بالصفة : وأما الاستغاثة بالصفة فإنها جائزة ، فيمكن للإنسان أن يقول اللهم برحمتك استغيث أصلح لي شأني كله ، وهذا وارد في قول النبي ﷺ : «**يا حي يا قيوم برحمتك استغيث**»[١] ، وهذه استغاثة بالرحمة وهي صفة من صفات الله.

(٣) الاستعاذة بالصفة : كذلك يجوز للإنسان أن يستعيذ بالصفة ، والاستعاذة بالصفة مثل قول النبي عليه الصلاة والسلام : « **أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد**

---

(١) سنن الترمذي (٣٥٩٣) من حديث أنس . والحاكم (١/ ٥٠٩) من حديث ابن مسعود وفي الحديث ضعف.

وأحاذر»[1] فهذه استعاذة بالقدرة ، ومثل قوله : **«أعوذ بكلمات الله التامات»**[2] ، فهذه استعاذة بالصفة.

(٤) الحلف بالصفة : الحلف بالصفة جائز ، مثل : قول وعزة الله ، وقدرة الله ، وجلال الله ، وكلام الله ، وحياة الله.

(٥) التوسل بالصفة : التوسل إلى الله تعالى بصفة من صفاته جائز ، وهذا من التوسلات المشروعة مثل : **«اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي»**[3] فالعلم صفة من صفات الله تعالى ، والقدرة من صفات الله ، فهو يتوسل إلى الله بصفاته سبحانه.

(٦) لا ينبغي نسبة الأفعال إلى الصفات : مثل شاءت الأقدار ، فلا تضاف المشيئة وهي صفة من صفات الله إلى القدرة وهي صفة من صفات الله تعالى ، إنما تقول : شاء الله تعالى.

ولا شك أن من آداب الدعاء ، أن يدعو الإنسان بصفة تليق بالمقام وتناسب الحال والمطلوب ، فيقول مثلاً : يا عليم علمني ، يا رحمن ارحمني.

---

(١) صحيح مسلم (٢٢٠٢) ؛ وهو في سنن الترمذي (٣٥٨٨) والحاكم (٤/ ٢١٩) وصححه ووافقه الذهبي بلفظ : (أعوذ بعزّة الله وقدرته) وسنده صحيح .

(٢) صحيح مسلم (٢٧٠٨) .

(٣) دعاء مأثور رواه النسائي (٣/ ٥٤) وأحمد (٤/ ٣٦٤) بسند جيّد .

*** ومن المسائل المتعلقة بالصفات :**

هل صفات الله تعالى متماثلة أم أنها غير متماثلة؟

الجواب : أن صفات الله متماثلة من ثلاث حيثيات :

الأولى : أن الموصوف بها واحد.

الثانية : أن الدليل على إثباتها الكتاب والسنة ، فهي توقيفيّة.

الثالثة : أن إثباتها لا يستلزم التشبيه :

- لأن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.
- والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

فكما أن إثبات ذاتٍ لله لا يقتضي تشبيه الله بخلقه ولا يقتضي أن ذات الله تماثل أو تشابه ذوات المخلوقين ، فكذلك إثبات الصفات لله تعالى لا يلزم منه تشبيه الله تعالى بخلقه ، فهذه الثلاثة أمور تتماثل فيها صفات الله.

وصفات الله تتباين من حيث دلالتها على معانٍ مختلفة : فالرحمن يدل على الرحمة ، والرحمة تدل على أمر غير ما تدل عليه القدرة ، فالقدرة غير الرحمة ، لكن القدرة والرحمة كلاهما صفتان لله فالموصوف بها واحد.

*** نفي التجسيم عن الله تعالى :**

يقول الناظم رحمه الله :

قالوا : فأنت تراه جسماً مثلنا؟ قلت : المجسم عندنا كالملحدِ

وفي بعض النسخ : **(قل لنا).**

الجسم في لغة العرب هو البدن ، وهو الجسد ، وأمّا عند المتكلمين فيطلقون

الجسم على كل ما يُشَار إليه ولهم تفصيل كثير في هذا ، وكثير منهم يقولون الجسم هو القائم بنفسه ، فالناظم يقول إن السائل يسأله ، يقول : فأنت إذا أثبت الصفات لله تعالى فأنت تراه جسماً ، فيقول الناظم : (**المجسم عندنا كالملحدِ**) ، يعني المجسّم حكمه حكم الملحد ، ولعل الكاف في قوله : (كالملحد) زائدة ، ويكون المعنى أن المجسم ملحد ؛ لأن المجسم ألحد في صفات الله وأسمائه.

* معنى الإلحاد :

والإلحاد لغة : هو الميل والانحراف ، ومن ذلك يسمى اللحد في القبر لحداً ؛ لأنه شق مائل في القبر منحرف عن سمت الحفر إلى جهة القبلة .

واصطلاحاً : هو الميل عما يجب ، فكل من مال عما يجب اعتقاده أو عمله فقد ألحد ، ولذا يكون الإلحاد في الاعتقاد ويكون في العمل.

وإذا مال الإنسان عن الواجب في اعتقاده عند أهل السنة فإنه يسمى ملحداً ؛ لأنه مال عن اعتقادهم ، ويمكن أن يكون الإلحاد في العمل ، فإذا مال عما يجب عليه فعله ، وترك بعض الواجبات وفعل بعض المعاصي ، فإنه يسمى أيضاً ملحداً ، ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج : ٢٥) يعني : ميلاً عن الحق بفعل معصية.

* أقسام الإلحاد :

والإلحاد يكون في أسماء الله وصفاته وفي آيات الله :

١- **فالإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته** : أن يعدل بأسماء الله تعالى وصفاته عن الواجب فيها ، فإذا انحرف في هذا الباب وعدل عما يجب عليه فيه فإنه يكون

ملحداً في أسماء الله وصفاته، والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ (الأعراف: ١٨٠) يلحدون: يعني يميلون عن الواجب عليهم في هذا الباب.

والانحراف في باب الأسماء والصفات يكون بأمور منها:

(١) أن ينكر شيئاً من أسماء الله وصفاته، إما أن ينكر الاسم أو ينكر ما دل عليه الاسم من صفة.

(٢) أن يجعل معنى الصفات دالاً على مشابهة الله لخلقه، فيقول: النزول يشبه نزول المخلوقين، أو الاستواء يشبه استواء المخلوقين، أو يقول: يد الله كيد المخلوقين، أو نحو ذلك.

(٣) أن يسمى الله بما لم يسم الله به نفسه أو يصف الله تعالى بما لم يصف الله به نفسه.

(٤) أن يشتق من أسماء الله تعالى أسماء للأصنام والأوثان، كما فعل المشركون عندما اشتقوا اسم اللات من الإله، والعزى من العزيز، فهم اشتقوا أسماء لهذه الأوثان من أسماء الله تعالى.

٢- ويكون الإلحاد في آيات الله بأمور منها:

١. الإلحاد في آيات الله الشرعية وهي القرآن، وذلك:

- بتحريف هذه النصوص
- وقد يكون أيضاً بتكذيب هذه النصوص، فمن كذب شيئاً من آيات الله تعالى فقد ألحد في كتاب الله.
- وقد يكون بعصيان أحكامها؛ لأنه عدل عما يجب عليه أن يفعله، وهو

التزام أوامر الله تعالى الواردة في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ .

٢. **الإلحاد في آيات الله الكونية وهي المخلوقات** مثل : الشمس والقمر ، وذلك :

- بأن ينسبها لغير الله ، فيقول : الذي خلق الكون ليس الله.
- أو يجعل لله شريكاً فيها ، في الخلق ، أو الرزق ، أو الملك ، أو التدبير.

*** إثبات الصفات لا يستلزم التجسيم :**

وقد ذكر الناظم هذا البيت بعد أن قرّر إثبات الصفات ، والسبب في ذلك أن من شُبَه الذين ينفون الصفات عن الله تعالى ويحرفون معانيها أن إثبات الصفات لله يقتضي أن الله تعالى جسم ، فالصفات لا تقوم إلا بجسم والله تعالى ليس بجسم فهذه شبهتهم ، ولذا بعد أن ذكر الصفات خطر له أنهم سيحتجون عليها بأن إثبات الصفات تجسيم لله ، والجواب عن ذلك أن نقول : إن لفظ التجسيم من الألفاظ المجملة ، فهي من الألفاظ التي لم ترد في كتاب الله ولا في السنة إثباتاً ولا نفياً ، فمثل هذه الألفاظ لا نثبتها ولا ننفيها ، ولا نقول إن الله جسم ولا نقول : إنه ليس بجسم ، وأما المعنى الذي يدل عليه ، فنستفصل فيه ، فإن ذكروا معنى دلت عليه النصوص نقبله ، وإذا ذكروا معنى لا تدل عليه النصوص فلا نقبله ، فإذا قالوا : معنى الجسم هو الشيء المركب الذي يفتقر كل جزء منه للآخر كالإنسان ، قلنا : هذا ممتنع عن الله تعالى ، بل الله سبحانه هو الغني ، وإن أرادوا بكلمة جسم أنه ما يقوم بنفسه ويتصف بالصفات ، فنقول : هذا المعنى الذي تذكرونه غير ممتنع ، فنحن نثبت إن الله تعالى يتصف بالصفات التي أخبرنا بها وأخبرنا النبي ﷺ أنه متصف بها ولا ننكر هذه الصفات ، ولو سميتم ذلك تجسيماً فتسميتكم هذه باطلة ، ودعواكم

هذه لا تجعلنا ننكر ما أثبته الله تعالى لنفسه ، وألقاب السوء التي يطلقها المبتدعة على أهل السنة ويريدون بها إلزامهم إنكار الصفات لا تدفعنا إلى إنكار ما أثبته الله لنفسه ، ومن عمد إلى المعاني المعلومة بالشرع والعقل وسماها بأسماء منكرة لينفّر الناس عنها قيل له : النزاع في المعاني لا في الألفاظ ، ولو كانت الألفاظ موافقةً للّغة ، فكيف إذا كانت من ابتداعهم .

ونقول أيضاً : إن من أنكر الصفات مثل المعتزلة الذين ينكرون الصفات ويثبتون الأسماء فيقولون : الله تعالى عليم بلا علم ، وقدير بلا قدرة ، يقولون : ننفي الصفات لأن الصفات تقتضي التجسيم ، فإذا أثبتنا أن الله تعالى موصوف بصفات فهذه الصفات إثباتها لله يقتضي التجسيم ، فنقول : أيضاً تسميتكم الله بأنه حي وأنه قادر وأنه رحمن وأنه رحيم يقتضي التجسيم ؛ لأننا لا نعرف شيئاً موجوداً يسمى حياً ويسمى قديراً ورحيماً إلا الأجسام ، فإن قالوا : لا يلزم التجسيم ، بل نقول : إنه حي وقادر وعليم لكنه ليس بجسم ، فنقول : نحن أيضاً نثبت لله تعالى الصفات كما أثبتها لنفسه ولا يقتضي هذا أن يكون الله سبحانه وتعالى مركبًا من جواهر مفردة أو من مادة وصورة أو أجزاءٍ وأبعاضٍ يفتقر بعضها إلى بعض إلى آخر ما يذكرونه.

وذكر الناظم لهذه المسألة بعد ذكره للصفات تدرج جميل منه فإنه قرّر إثبات الصفات لله تعالى ، ثم بعد ذلك بيّن شبهة المخالفين وهي مسألة التجسيم ؛ ومسألة التجدد وحلول الحوادث ، فحلول الحوادث غالبًا ما تذكر في الصفات الفعلية ، والتجسيم غالباً ما يذكر في الصفات الذاتية.

* إثبات العلو لله تعالى :

قال الناظم رحمه الله تعالى في إثبات صفة العلو :

قالوا فهل هو في الأماكن كلها؟ فأجبت : بل في العُلْو مذهب أحمد

قوله : (**في العلو**) سكّن اللام ، وإلا فالأصل أن يقول في العلُو ، ولكن سكن اللام ليستقيم وزن البيت ، وأيضًا يقول : (**بل في العلو مذهب أحمدِ**) وهنا جعل علامة جر (**أحمد**) الكسرة ، ومعلوم أن أحمد ممنوع من الصرف ؛ للعلمية ووزن الفعل ، والأصل فيها أن يقول : (**مذهب أحمدَ**) ، لكن هذه منه لضرورة الشعر ؛ لأن القافية على الدال المكسورة ، وقد قال الحريري في منظومته :

وجائز في صنعة الشِّعر الصَّلف أن يصرف الشاعر ما لا ينصرف

فمن الضرورات الشعرية أن يصرف الشاعر الكلمات التي لا تنصرف حتى يستقيم البيت.

يقول هنا : إن سألوني هل الله تعالى في كل مكان؟ فإني أجيبهم : إن الله تعالى في العلو ، والعلو صفة ذاتية لله تعالى يثبتها أهل السنة لله ويقولون :

إن علو الله تعالى يشمل ثلاثة أمور :

(١) **علو الذات** : فهو سبحانه مستوٍ على عرشه.

(٢) **علو القدر** : علو قدره وشأنه سبحانه.

(٣) **علو القهر** : فهو سبحانه غلب المخلوقات بقهره.

قال ابن القيم :

وله العلو من الوجوه جميعها ذاتاً وقهراً مع علو الشان

هذه الثلاثة أمور كلها مرادة ، أما من ضل في هذا الباب فإنه ينكر علو الذات ، ويقول : معنى العلو علو الصفات وعلو القدر ، وينكر علو ذاته. يقول الناظم : (**بل في العلْو مذهب أحمدِ**) يقول : إن إثبات العلو لله تعالى هو مذهب الإمام أحمد ، والصحيح أن هذا مذهب السلف كلهم ، لكنه عبَّر بقوله : أحمد ؛ لأنه من أئمة السلف ، ولأنه قد قصد نظم المسائل التي اختارها الإمام أحمد في الاعتقاد ، ووافقه فيها.

* الأدلة على إثبات العلو لله :

والعلو من الصفات الثابتة لله تعالى في أدلة كثيرة جداً ، قسّم أنواعها العلامة ابن القيم إلى واحد وعشرين نوعاً ، وفي كل نوعٍ منها عدد ضخم من النصوص ، فالنصوص الدالة على علوه بذاته سبحانه فوق خلقه أدلة كثيرة ، فأول نوع من الأدلة ما جاء من النصوص المتضمنة لاستواء الله تعالى على عرشه في مواضع من القرآن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ (طه : ٥). ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ (الأعراف : ٥٤).

ومن ذلك النصوص الواردة في علو الله تعالى بلفظ العلو نحو ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (البقرة : ٢٥٥) و﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ (الأعلى : ١) وكذلك قول الله تعالى : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ (الملك : ١٦) في السماء ، أي : على السماء ، فتكون في بمعنى على ، وحروف الجر تتناوب ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (المائدة : ٢٦) ونحو : ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (آل عمران : ١٣٧) ففي الأرض أي : على الأرض ، فمعنى : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي : على السماء ، أو نقول إن السماء معناها العلو ، فيكون المعنى : ءأمنتم من في العلو ؛ لأن لفظ السماء

يطلق على كل ما علا على الإنسان ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ (الحج : ١٥) يعني ليمدد بسبب إلى سماء بيته وهو السقف ، والسبب هو الحبل ، يعني : ليمدد بحبل إلى السقف ، هذا معنى قول الله تعالى : ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ، ولذا يقول ابن القيم :

إذ أجمع السَّلف الكرام بأنّ — معناها كمعنى فوق بالبرهان

أو أنّ لفظ سمائه يُعنى به — نفس العلو المطلَق الحَقّاني

وكذلك من الأدلة الإخبار بالصعود إليه سبحانه في قول الله تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ (فاطر : ١٠) دليل على إثبات صفة العلو لله تعالى ، وفي قول النبي ﷺ : (**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك**) في الدعاء الوارد في رقية المريض[(١)] ، وكذلك في سؤال النبي ﷺ للجارية التي استشاره معاوية بن الحكم رضي الله عنه في إعتاقها فإنّه : (**قال لها : أين الله؟ فقالت : في السماء. فقال النبي ﷺ أعتقها فإنها مؤمنة**) [(٢)] ، وهذه النصوص تدل على المعنى

---

(١) ونصه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**من اشتكى منكم شيئًا أو اشتكاه أخ له فليقل : ربنا الله الذي في السماء تقدّس اسمك ، أمرك في السماء والأرض ، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رَبّ الطيبين ، أنزل رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع . فيبرأ**) سنن أبي داود (٣٨٩٢) ؛ مسند أحمد ٦/ ٢١ ؛ المستدرك للحاكم ١/ ٣٤٤ ؛ وهو حديث حسن بطرقه . انظر : عمل اليوم والليلة للنسائي (١٠٣٥-١٠٣٨) .

(٢) صحيح مسلم (٥٣٧) .

الذي ذكرته ، وقد ذكر ابن القيم في النونية أنواع هذه الأدلة وبيّنها ، ومن ذلك قوله في النونية :

هـذا وخامـسها صـعود كلامنـا بالطيبـات إليـه والإحـسان

(صعود كلامنا إليه) فإن الله تعالى أخبر أنه إليه يصعد الكلم الطيب ، فصعود الكلم الطيب دليل على أن الله تعالى في العلو ويقول :

هـذا وسادسـها وسـابعها النـزول كـذلك التنـزيل للقـرانِ

فالنبي ﷺ أخبر أن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر[1] ، وخبر النبيﷺ بذلك دليل على أن الله تعالى متصف بالعلو ؛ لأن النزول يكون عن علو ، وكذلك إخبار الله تعالى بأنه نزل القرآن ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ (الفرقان : ١) فالتنزيل يأتي من أعلى إلى أسفل ، وهذا دليل على علو الله تعالى ، ومما يدل على علو الله تعالى : الفطرة الموجودة في قلب الإنسان وكل موحد إذا كربه أمر رفع وجهه إلى السماء يستغيث ربه تعالى ، لذا يقول ابن القيم :

وإليـه آمـال العبـادِ توجّهـت نحـو العلـو بـلا تـواص ثـانِ

بـل فطـرة اللهِ التـي لم يفطـروا إلا عِليهـا الخلـقُ والـثقلانِ

وفي هذا قصة مذكورة عن أبي المعالي الجويني أنه كان يتخبط في مسألة علو الله واستوائه تعالى على عرشه ، فقال له أبوجعفر الهمداني : (دع عنك ذكر العرش ولكن أخبرني عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ، فإنه ما قال عارف قَطُّ : يا الله ، إلا وجد من قلبه ضرورة لطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة) فلطم الجويني

---

(١) صحيح مسلم (١٦٩) .

رأسه وقال : (حيّرني الهمداني ، حيّرني الهمداني)[1] ؛ لأن هذا دليل فطري ، وليس دليلاً عقلياً يمكن أن تأتي له بما ينقضه ، وتورد له الاعتراضات والأسئلة ، فالفطرة الموجودة في قلب كل إنسان تدل على اتصاف الله بالعلو.

في بعض نسخ المنظومة :

قالوا فهل هو في الأماكن كلها؟ قلت : الأماكن لا تحيط بسيدي

يعني : أنه يجيب بأنّ الله تعالى أعظم وأجل من أن يحيط به شيء ، فقد وسع كرسيه سبحانه السموات والأرض ، والله تعالى يقول : ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ (الزمر : ٦٧) وإثبات أن الله تعالى في السماء لا يعني أن السماء تحيط به ، وبعض الناس يظن أن إثبات علو الله تعالى يقتضي أن السماء تحيط به ولذا ينكر علو الله تعالى ويقول لو كان الله فوق العالم لزم أن تحيط به جهة أو مكان ، فنقول : إن إثبات أن الله في السماء لا يقتضي أنها تحيط به . قال ابن تيمية : (من توهّم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن نقله عن غيره ، وضال إن اعتقده في ربه ، وما سمعت أحدًا يفهم هذا من اللفظ ولا رأينا أحدًا نقله عن واحد ، ولو سُئل سائر المسلمين هل تفهمون من قول الله ورسوله إن الله في السماء ، أنّ السماء تحويه لبادر كل منهم إلى أن يقول هذا شيء لم يخطر ببالنا . فمن التكلّف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئًا محالاً لا يفهمه الناس منه ثم يريد أن يتأوله . بل عند الناس أن الله في السماء وهو على

---

(١) مختصر العلو للذهبي ص٢٧٦ ؛ مجموع الفتاوى ٤/ ٤٤ ؛ طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ١٩٠).

العرش ، واحد ؛ إذ السماء إنما يراد به العلو فالمعنى أن الله في العلو ..)[١] .

وذلك أن الله تعالى مباين لخلقه فالجهات في حقه عدمية لأنّ ما فوق العالم لا يسمى جهة وجوديّة .

وبهذا يتبين ضلال من قال بأن الله تعالى ليس داخل العالم ولا خارجه .

بل وصف الله تعالى بمثل هذا تشبيه له بالمعدومات والممتنعات وهو مخالف لبداهة العقول ولنصوص الشرع .

وأمّا الاحتجاج بلفظ الجهة والمكان فهذا يقال فيه ما سبق عن الألفاظ المجملة التي لم يطلقها الشرع ولم ينفها ، ولا نجعلها طريقة لنفي ما ثبت من صفات الله تعالى .

- إثبات صفة الاستواء على العرش لله تعالى :

يقول الناظم بعد ذلك في **الاستواء على العرش** :

قالوا فتزعم أن على العرش استوى قلت : الصواب كذاك ، أخبر سيدي

يعني أن الله تعالى أخبر أنه استوى على العرش ، وذلك في سبعة مواطن من كتاب الله ، قال تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ (طه : ٥) وقال : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ (الأعراف : ٥٤ ، يونس : ٣ ، الرعد : ٢ ، الفرقان : ٥٩ ، السجدة : ٤ ، الحديد : ٤) . قوله : **(أخبر سَيّدي)** السيد هنا هو الله . ويسمّى الله بالسيّد كما جاء

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٦).

في قول النبي ﷺ : (السيد الله)[1] فنثبت لله تعالى الاستواء ؛ لأنه جاءنا عن الله ، فنؤمن بالله وبما جاءنا عن الله.

- **معنى العرش :**

والعرش في اللغة : يطلق على سرير الملك ، فالسرير الذي يجلس عليه الملك يسمى العرش ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل : ٢٣). وفي الشرع : العرش هو أعظم مخلوقات الله تعالى، وهو عرش حقيقي يليق بالله تعالى وقد وصفه الله تعالى بأنّه عظيم وأنّه كريم .

قال ابن كثير : ﴿وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (المؤمنون : ٨٦). يعني الكبير ، وقال في آخر السور ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون : ١١٦) أي الحَسَن البهي ، فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع ، والعلو والحسن الباهر)[2] ، وجاء في القرآن أنّه يحمله الملائكة : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ (الحاقة : ١٧).

- **معنى استواء الله على عرشه :**

واستواء الله تعالى على العرش من الصفات الفعلية التي يثبتها له أهل السنة ، ويقولون : إن معنى الاستواء معروف في لغة العرب ، ومعاني الاستواء التي تكلم بها السلف أربعة جمعها ابن القيم في قوله :

---

(١) سنن أبي داود (٤٨٠٦) ؛ مسند أحمد (٤/ ٢٥) ؛ الأدب المفرد للبخاري (٢١١) عن عبدالله ابن الشخّير وإسناده صحيح.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٠/ ١٤١) وقد جمع الوصفان في حديث واحد صحيح البخاري (٦٣٤٥) ؛ صحيح مسلم (٢٧٣٠). وانظر : شرح الطحاوية ص ٣٦٨ .

فَلَهم عبارات عليها أربعٌ ... قد حُصّلت للفارس الطعانِ

وهي استقرَّ وقد علا وكذلك ... ارتفع الذي ما فيه من نكران

وكذلك قد صعد الذي هو رابع ... وأبو عبيدة صاحب الشيباني

فمعنى الاستواء : العلو ، والارتفاع ، والاستقرار ، والصعود هذه الألفاظ التي عَبّر بها السلف عن معنى الاستواء الذي وصف الله به نفسه .

- **الرد على من فَسَّر الاستواء بالاستيلاء :**

بعض الناس يحرّف معنى الاستواء فيقولون : **(الرحمن على العرش استوى)** بمعنى **استولى** ، ويستدلون على ذلك بقول الشاعر الأخطل النصراني :

قد استوى بشرٌ على العراق ... من غير سيف أو دم مهراق

ويقولون هذا البيت فيه أن بشراً استوى على العراق ، ولا يمكن أنه يقال أن معنى الاستواء ارتفع وصعد إذ كيف يصعد على العراق؟ فالمعنى استوى على العراق ، أي : استولى عليه ، فعلى هذا فمعنى : **(الرحمن على العرش استوى)** أي : الرحمن على العرش استولى . وهذا تحريفَ باطل .

ويبطل أن يكون معنى استواء الله تعالى هو الاستيلاء بأمور :

أولاً : أن هذا البيت ليس موجوداً في ديوان الأخطل ، بل هو مكذوب عليه ، فإن الرواة الذين يروون الأشعار لم يذكروا في ديوان الأخطل هذا البيت.

ثانياً : رواية البيت بوجه آخر : فبعض الناس روى هذا البيت بوجه آخر ، وهو أنه يقول :

بشرٌ قد استولى على العراق ... من غير سيف أو دمٍ مهراقِ

فيكون لفظ البيت استولى ، وهنا ينتفي استدلالهم لأن البيت أصلاً ليس فيه كلمة استوى.

ثالثاً : أن نقول لا يمنع أن يكون معنى الاستواء : الصعود والعلو والارتفاع ، على ما يذكره علماء اللغة ، ثم بعد ذلك استعمل مجازاً في غير ما وضع له حقيقةً ، أي : أن الأصل أن يستخدم كلمة استوى بمعنى : صعد وارتفع ، ثم بعد ذلك استعيرت مجازاً لمعنى آخر ، مثل أن كلمة الأسد تطلق على الحيوان المفترس وعلى السبع العادي في الحقيقة ، لكن قد تستعار مجازاً في الرجل الشجاع ، فيمكن أن تقول : رأيت أسداً تقصد الحيوان ، ويمكن أن تقولها تقصد الرجل الشجاع ، فنقول : إن استوى بمعنى صعد وارتفع وارتقى ، لكن الأخطل استعارها أو استعملها مجازاً في معنى الاستيلاء.

وعلى هذا فإن تفسيرنا للاستواء بمدلوله الأصلي صحيح لأنّه الأصل ولا يعدل عنه إلا بدليل .

رابعاً : أن القائل هو نصراني ، وهو الأخطل ، والنصارى معروف أنهم أعرضوا وحرفوا وبدلوا في باب الأسماء والصفات ، والدليل لذلك : تسميتهم لله تعالى (أبًا) ، وجعلهم لله سبحانه وتعالى الابن.

خامساً : لو قلنا : **(الرحمن على العرش استوى)** معناه استولى لأدى ذلك إلى أن الله تعالى لم يكن مستولياً على العرش قبل ذلك ، وهذا لا يقول به أحد.

سادساً : لو قلنا : **(الرحمن على العرش استوى)** معناه استولى لصح لنا أن نقول : الرحمن على الجبل استوى ، والرحمن على الأرض استوى ، والرحمن على السماء استوى وهكذا ، فنذكر هذه الألفاظ التي لا يقرون هم بذكرها ، لأنه إذا

كان المعنى : استولى ، فالله تعالى مستولٍ على الجبال وعلى السموات والأرض وعلى كل شيء ، وهذا **كله يبطل أن يكون معنى استواء الله تعالى هو الاستيلاء.**

السابع : أن فصحاء العرب وعلماء اللغة كابن الأعرابي والخليل بن أحمد أنكروا أن يكون معنى استوى استولى ، وقالوا : هذا لا يعرف في لغة العرب ، وأسند عنهم ذلك اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة[1] ، وهذا كله **يبطل** أن يكون معنى استواء الله تعالى هو الاستيلاء.

ثم بعد ذلك يقول الناظم رحمه الله :

قالوا : فما معنى استواه أبن لنا؟ فأجبتهم هذا سؤال المعتدي

يقول : إنهم سألوه عن معنى استواء الله على العرش؟ يقول : فأجبتهم : هذا سؤال المعتدي : والمعتدي الذي يتجاوز الحد.

وقد صار السؤال عن كيفية الاستواء تجاوزاً للحد لأنّ كيفية صفات الله تعالى مجهولة لنا ، ومن سأل عن كيفية صفات الله فإنه يجاب بأحد جوابين - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

١. **الجواب الأول** : هو جواب الإمام مالك وربيعة والمروي عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ، أنه سئل : كيف استوى؟ فقال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة. فالاستواء معناه في اللغة معروف وهو الارتفاع على العرش ، وأما كيفية هذا الاستواء فمجهولة ، والسؤال عن الكيفية بدعة.

---

(١) انظر : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٢١٦-٣/ ٣٨٧) .

٢. **الجواب الثاني** : أن من سأل عن صفة من صفات الله فيقال مثلاً : كيف استوى؟ نقول له : أنت تؤمن بأن الله تعالى له ذات ، فكيف هو ذاته؟ فيقول : أثبت أن لله ذاتاً لكن لا أعرف كيفية هذه الذات ، فنقول : أثبت أيضاً أن لله تعالى استواء لا تعرف كيفيته، وإنّما لم نعرف كيفية استواء الله تعالى وبقية صفاته ، **لأن الكيفية تعرف بأحد ثلاثة أمور** :

(١) **بمشاهدة هذه الكيفية** : بأن تشاهد شخصاً وهو يفعل فعلاً معيناً ، فتكون مشاهدته معرفة أن كيفية جلوسه هي كذا ، وكيفية مشيه هي كذا بالمشاهدة.

(٢) **معرفة الكيفية بالخبر** : كأن يخبرك شخص أن كيفية جلوس فلان كذا ، وكيفية قيامه كذا ، ومشيه كذا.

(٣) **أن ترى من يشبهه** : فترى من يشبه زيداً ، فيقال لك : جلوس فلان كجلوس زيد.

وقد انتفت هذه الأمور الثلاثة في صفات الله تعالى :

١- فإن الله تعالى لا يرى في الدنيا.

٢- والله تعالى لم يخبرنا عن كيفية صفاته.

٣- والله تعالى ليس كمثله شيء.

ولذا فإننا نجهل كيفية صفات الله ولكننا نعرف معانيها ونؤمن بها ، بناءً على هذا : فهل صفات الله من المتشابه أو من المحكم؟ فإن الله سبحانه وتعالى أخبرنا أن في كتابه المتشابه وفيه المحكم كما في قوله تعالى : ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ (آل عمران : ٧) ونقول هي محكمة في المعاني ، فمعاني

صفات الله تعالى محكمة معروفة يعرفها العرب ولا بد من الإيمان بها ، أما كيفية صفات الله سبحانه وتعالى فهي من المتشابه الذي نكل علمه إلى الله ، ونقول : الله أعلم بكيفية صفاته.

- نفي معاني الصفات قول المفوضة :

وقوله : **(ما معنى استواه)** ، يعني : ما كيفية استوائه وليس سؤالهم عن معنى الاستواء لأن المعنى معلوم كما تقدَّم .

ومن الناس من يقول : إن معاني الصفات غير معلومة بل هي نصوص تتضمن ألفاظًا مجهولة لا يعرف معناها حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويسمى أصحاب هذا القول أهل التجهيل ، لأن حقيقة قولهم أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجهلون معاني بعض آيات الله التي خاطبهم بها ، ولذا قال ابن تيمية عن قولهم إنّه من شَرّ أقوال أهل البدع والإلحاد .

وبما سبق نكون قد صرفنا كلمة معنى في القصيدة إلى الكيفيّة ، وإنما قلنا ذلك لأجل أن نخرج أبا الخطاب عن أن يكون مفوضاً لمعاني صفات الله تعالى مع أن هذا المذهب موجود في بعض الحنابلة كما نسب لأبي يعلى ، وقد يكون أبو الخطاب رحمه الله ممن تأثر بذلك ، لكننا نحسّن الظن به ولذا فإننا نحمل كلامه على الكيفية ، أما الذين يقولون : إن معاني صفات الله غير معلومة فهم الذين يسمون المفوضة ، ويسمى مذهبهم التفويض. وهذا الاعتقاد كما يوجد في بعض ينتسب إلى السلف والسنة فإنّه يقول به الأشاعرة ، ولذا يقول في الجوهرة :

وكل نص أوهم التشبيها ... أوِّله أو فوِّض ورُم تنزيهاً

يعني : كل نص احتمل في ذهنك أنه يقتضي مشابهة الله لخلقه ، لم يَقُل : أثبته على الوجه الذي يليق بالله مع نفي التشبيه ، بل قال : **(أوّله)** أي : حرّفه واصرفه عن ظاهره إلى معنى آخر ، **(أو فوضه)** قل : الله أعلم ، لا أعرف معنى هذا الكلام **(ورم تنزيهاً)** أي : اعتقد بذلك أنك تنزه الله تعالى ، ومذهب المفوضة هذا أخطر وأسوأ من مذهب من يحرف معاني الصفات ؛ لأن معنى التفويض : هو تجهيل النبي ﷺ وأصحابه ، وهذا أيضاً معارض لقول الله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل : ٨٩) فإنه إذا كان تبياناً لكل شيء فإن أول ما يبين هو صفات الله تعالى الذي أمرنا بعبادته وأيضاً هذا ينافي أن يكون النبي عليه الصلاة والسلام علم أمته جميع ما يحتاجون إليه ، فنحن نؤمن بأن النبيّ عليه الصلاة والسلام علمنا كل ما نحتاج إليه ، والعلم بالله سبحانه وأسمائه وصفاته من أول ما يدخل تحت هذه القاعدة ؛ لأنه من أهم ما يحتاجه المسلم ، فالقول بأن النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته كانوا يقرءون هذه النصوص ولا يفهمون معانيها تجهيل لهم . وقد تقدم أن اعتقاد سلف هذه الأمة الإيمان بمعاني الصفات ، وتفويض كيفيتها .

* إثبات صفة النزول لله تعالى :

يقول الناظم رحمه الله في صفة النزول :

قالوا : النزول؟ فقلت : ناقله لنا قوم تمسكهم بشرع محمدِ

وفي نسخة أخرى : قومٌ هُمُ نقلوا شريعة أحمد.

النزول : يطلق على انتقال الشيء من أعلى إلى أسفل ، فإذا انتقل الشيء من أعلى إلى أسفل يقال : نزل. ونزول الله تعالى صفة فعلية ثابتة له كما جاء في

الحديث : (**وينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلةٍ حين يبقى ثلث الليل الآخر**)[١] ، وقد نقل ابن تيمية والذهبي والسيوطي أن هذا الحديث متواتر. لذا يقول الناظم :

(**قالوا : النزول؟**) : يعنى : صفة النزول ، ما تقول فيها؟ فيقول : (**ناقله لنا قوم تمسكهم بشرع محمد**) ، يعني : نقلت صفة النزول عن طريق العدول أهل العلم الثقات ، وفي النسخة الثانية : (**قوم هم نقلوا شريعة أحمد**) يعني : الذين نقلوا لنا هذه الصفة هم الذين نقلوا لنا بقية الشرائع ، فإذا أنكرنا صفة النزول أفضى ذلك إلى أن ننكر بقية أحكام الدين الواردة في السنة ، وهذا إشارة منه إلى أن أخبار الآحاد يعمل بها في العقائد كما يعمل بها في الأمور العملية.

* العمل بخبر الآحاد في العقائد :

وقد دلت السنة من فعل النبي ﷺ ، على أنه كان يبعث الرجل من أصحابه فيبلغ الناس أمور الاعتقاد كما يبلغهم أمور الشرائع ، لا فرق في ذلك ، فأرسل معاذاً إلى اليمن فقال : (**إنك تأتي قوماً أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله - وفي رواية - إلى أن يوحدوا الله تعالى**)[٢] ، وأرسل إلى قيصر وكسرى وإلى غيرهم ، وهذا كله إرسال لآحادٍ من أصحابه إلى هؤلاء لتبليغهم أمور الدين ، من الشرائع والعقائد بلا تفريق بينهما ، فالذين نقلوا لنا الشريعة نقلوا لنا الاعتقاد فكما نقبل منهم الشريعة نقبل منهم الاعتقاد.

---

(١) صحيح البخاري (٧٤٩٤) ؛ صحيح مسلم (٧٥٨).

(٢) صحيح البخاري (١٤٥٨) ؛ صحيح مسلم (١٦) .

* كيفية نـزول الله مجهولة :

ثم يقول الناظم رحمه الله :

قالوا : فكيف نـزوله؟ فأجبتهم ... لم ينقل التكييف لي في مسندِ

يقول : إنهم سألوه ، قالوا : أنت تثبت نـزول الله تعالى ، فكيف هذا النـزول؟ فيقول : إني أجبتهم بأن التكييف ، يعني : كيفية نـزول الله تعالى ، لم تنقل لي في مسند ، يعني : لم تنقل لي في خبر مسند يرويه لي الثقات كما روي لي النـزول ، فالثقات نقلوا لي أن الله ينـزل إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر ولم ينقلوا لي كيف ينـزل ، فأؤمن بأنه ينـزل ، وأقول : كيفية نـزوله الله أعلم بها. وهذا لما قدمناه من أن كيفية الصفة إنما تعرف بمشاهدتها ، أو مشاهدة نظيرها ، أو بالخبر الصادق عنها.

* إثبات رؤية الله في الآخرة :

ثم يقول الناظم رحمه الله في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة :

قالوا : فينظر بالعيون؟ أبن لنا ... فأجبت : رؤيته لمن هو مهتدي

(قالوا : فينظر بالعيون؟) يسألونه : هل الله تعالى يُرى في الآخرة ؟ **(أبن لنا)** أي : وضح لنا ، والتبيين بمعنى الإيضاح ، يقول : (فأجبت رؤيته لمن هو مهتدي) ، يعني : أُثبت رؤية الله تعالى لأهل الهداية ، وهم أهل الإيمان ، فيثبت أن الله تعالى يُرى في الآخرة ، ولكن يراه أهل الإيمان ، وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : **(إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم**

أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا)[١].

وقوله (لمن هو مهتدي) لأن القرآن أخبرنا أن الكفار يحُجبون يوم القيامة عن الله ، قال تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين : ١٥) وهذا يدل على أن الرؤية ، إنما تكون في الآخرة لأهل الإيمان دون أهل الكفر ، بل هم محجوبون عن الله ، وفي قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس : ٢٦) فسر النبي ﷺ هذه الزيادة بأنها هي النظر إلى وجه الله الكريم[٢] ، نسأل الله أن يرزقنا النظر إلى وجهه.

وهذا البيت ليس مذكوراً في بعض النسخ ولا البيت الذي يليه.

ورؤية الله تعالى مما يثبته أهل السنة ، ويقولون : إن الله تعالى يرى في الآخرة ، يراه أهل الإيمان في الموقف ، ويرونه في الجنة ، وينكرها من ضل عن منهج أهل السنة في هذا الباب ، ويقولون : إن الله تعالى يقول : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ (الأنعام : ١٠٣) وإذا قلنا : إن الله تعالى يرى فنكون قد خالفنا هذه الآية ، ويقولون أيضاً : إن في قول الله : ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ (الأعراف : ١٤٣) دليلاً على أن الله تعالى لا يُرى ؛ وقد أجاب أهل السنة عن الشبهتين بقولهم : إن قول الله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ نفي للإدراك وليس نفياً للرؤية ، وبين الرؤية والإدراك

(١) صحيح البخاري (٥٥٤) ؛ صحيح مسلم (٦٣٣).

(٢) ورد ذلك مرفوعًا في صحيح مسلم (١٨١) . وجاء عن أبي بكر وحذيفة وأبي موسى وابن عباس رضي الله عنهم كما في جامع البيان للطبري (١٢/ ١٥٦) .

تفاوت ، فقد تحصل الرؤية دون الإدراك ، ومثلوا لذلك بقول الله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ (الشعراء : ٦١) يعني : جمع موسى وفرعون ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ﴾ (الشعراء : ٦٢ ، ٦١) فهنا رأى جمعُ موسى جمعَ فرعون ، فقال أصحاب موسى : ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ يعني : سيدركنا قوم فرعون ، فقال موسى : ﴿كَلَّآ﴾ ، فموسى أنكر الإدراك مع ثبوت الرؤية فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فنقول : إن الله تعالى يُرى لكنه لا يُدرك. كما يُعلم ولا يحاط به علمًا .

أما في قول الله تعالى : ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ فأجاب أهل السنة عن ذلك بعدة أجوبة :

١ . **أن لن لا تدل على النفي المؤبد** : وفي ذلك يقول ابن مالك :

ومن رأى النفي بلن مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا

فالذي يرى النفي بلن مؤبداً يقول : رد قوله ، بل النفي بلن ليس مؤبداً ، ويدل لذلك أن الله تعالى أخبر عن الكفار أنهم : ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ (البقرة : ٩٥) يعني : الموت ، وأخبر أنهم في النار يقولون : ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ (الزخرف : ٧٧) فهم تمنوا الموت في الآخرة. وهذا دليل على أن لن لا تقتضي التأبيد .

٢ . **وأيضاً في قول موسى** : ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف : ١٤٣) دليل على أن هذه الرؤية ممكنة ، وذلك لأن الله تعالى لم ينكر عليه كما أنكر على نوح ، فإن نوحاً سأل الله أن ينجي ابنه ، **فأجابه الله** : ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن

﴿تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (هود : ٤٦) فلما سأله مالا ينبغي أنكر الله تعالى عليه، أما موسى فإن الله تعالى لم ينكر عليه ، وهذا يدل على أن هذا السؤال جائز ، والمسؤول ممكن.

٣. **وأيضاً أن الله تعالى قال :** ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ (الأعراف : ١٤٣) وهذا دليل على أن امتناع الرؤية إنما هو لأجل الضعف البشري في هذه الدنيا ، فإذا شاء الله تعالى لهذا العبد أن يرى الله تعالى كما يحصل في الآخرة فإنه يمكّنه من الرؤية. هذا مجمل ما أجاب به أهل السنة ، وأثبتوا رؤية الله تعالى في الآخرة لأهل الإيمان. كما اتفقوا على أن الله تعالى لا يراه أحد بعينه في الدنيا ولم يختلفوا إلا في رؤية نبينا ﷺ لربه خاصّة والصواب نفي رؤيته لربه في الدنيا والله أعلم .

* إثبات صفة العلم لله تعالى :

يقول الناظم رحمه الله في **صفة العلم** :

قالوا : فهل لله علم قلت : ما   من عالم إلا بعلم مُرتدِي

هذا البيت غير موجود في بعض نسخ المنظومة ، وفيه سؤال : أيوصف الله بالعلم؟ فيقول : **(ما من عالمٍ إلا بعلم مرتدي)** ، أي : متصف بالعلم.

وأهل السنة يثبتون لله صفة العلم ، وهي صفة ذاتية دل عليها كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، قال تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ (البقرة : ٢٥٥) قال تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ﴾ (الحديد : ٤) . وقال : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة : ٩٧) والآيات والأحاديث الواردة في إثبات صفة العلم لله معروفة ومشتهرة.

وذهب المعتزلة إلى أن الله لا يوصف بالعلم مع أنهم يثبتون لله تعالى اسم العليم ، وهذا على قاعدة أنهم يثبتون الأسماء وينفون الصفات ، فيقولون عليم بذاته بلا علم[١] ، ودليلهم على ما ذهبوا إليه أن إثبات الأسماء ونفي الصفات فيه نفي مشابهة الله بخلقه ، ويقولون : لا نعرف في الشاهد من هو موصوف بالعلم إلا ما هو جسم ، ويرد عليهم بأن صفة العلم أثبتها الله لنفسه في كتابه ، ثم إننا نقول لهم : إننا لا نعرف من هو متسم باسم العليم في الوجود إلا وهو جسم. مع أن لفظ الجسم من الألفاظ المحدثة التي سبق تناولها .

فإن نفوا الصفة والاسم كبعض الفلاسفة فنقول لهم : إنكم شبهتم الله تعالى بالمعدومات ، فالمعدومات لا تسمى ولا توصف والتشبيه بالمعلومات أقبح من التشبيه بالموجودات. ويقول بعض المبتدعة : ننفي الصفة وننفي ضدها ، فنقول : الله ليس بعالم ولا متصفاً بضد العلم ، وينفون النفي والإثبات ، فنقول : إن هذا تشبيه منكم لله بالمستحيلات التي يجتمع فيها النقيضان .

فكل هؤلاء فروا من التشبيه ووقعوا في التشبيه والشطط ومخالفة نص القرآن والسنة وإجماع السلف .

قال الناظم رحمه الله في صفة **الكلام** :

قالوا : فيوصف أنه متكلم؟ قلت : السكوت نقيصة المتوحِّدِ

---

(١) انظر : إن شئت في بيان مذهبهم : الملل للشهرستاني (١/ ٥٠) ؛ الإرشاد للجويني ص١٠١.

وفي بعض نسخ المنظومة : (**قلت : السكوت نقيصة بالسيدِ**).

يقول : سألوني : هل الله متكلم؟ فأجبتهم بأن وصف الله تعالى بالسكوت أي بالبكم وعدم الكلام نقيصة ، وما كان من الصفات فيه نقص فإنه لا يثبت لله.

وأهل السنة يثبتون لله تعالى صفة الكلام ويقولون : **إن الله تعالى متكلم بكلام قديم النوع حادث الآحاد** ، أي أن من صفاته تعالى الكلام ، وأنه يتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء سبحانه ، وأنه يتكلم بكلام مسموع سمعه موسى ، **قديم النوع** ، أي : أنه من صفات الله تعالى التي لا تنفك عنه أنه يتكلم بما شاء ، **حادث الآحاد** ، أي : أنه متكلم بما شاء إذا شاء ، فصفة الكلام صفة ذاتية فعلية ، ذاتية : باعتبار تعلقها بالله تعالى واتصاف الله تعالى بها ، وفعلية : باعتبار آحاد الكلام ، أي أن الله يتكلم بما شاء إذا شاء ، فإنه لما سمع الله المجادلة تجادل النبي ﷺ ، قال تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ (المجادلة : ١) فهو قال ذلك لما سمعها ، ولم يقل هذا في الأزل قبل أن يخلق المجادلة ، ولا يقول عاقل : إن الله قال ذلك في الأزل قبل أن تخلق هذه المرأة ، ودليل أهل السنة على أن الكلام صفة من صفات الله سبحانه قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء : ٨٧). وقوله : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء : ١٦٤) وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ (الأعراف : ١٤٣) وهذه جميعاً تثبت صفة الكلام لله تعالى.

ومن الأدلة على أن كلام الله كلام حقيقي بصوت مسموع ما جاء في حديث النبي ﷺ أنه قال : (**يقول الله تعالى يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك ،**

فيناديه بصوت فيقول : أخرج بعث النار) [١] وهذه الصفة صفة كمال تليق بجلال الله تعالى ، ولا تقتضي تشبيه صفة الله بصفات العباد.

وقوله : (**إن السكوت نقيصة**) ، أي : عيب ، ومراده : أن الكلام صفة كمال لله يجب أن نثبتها لله تعالى .

* أقسام الصفات من حيث دلالتها على الكمال :

والصفات على ثلاثة أقسام :

(١) **صفات كمال من كل وجه أو صفات كمال مطلق لا نقص فيها بوجه من الوجوه** ، مثل : صفة الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والرحمة ، هذه كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه ، فهذه الصفات يجب أن نثبتها لله تعالى على الوجه الذي يليق به ، ولا ننكر منها شيئاً ؛ لأن الله تعالى له الصفات العلى ، لأننا إذا وصفنا العبد بصفة كمال ونفينا بعض هذه الصفات عن الله لجعلنا صفات بعض المخلوقين أكمل من صفات الخالق ، ولا شك أن الخالق أولى بالاتصاف بصفات الكمال من المخلوق ؛ لأنه هو الذي خلق هذه الصفات في المخلوق ، فكونه يخلقها في المخلوق وهو عارٍ منها لا يقبل في العقل.

(٢) **صفات نقص لا كمال فيها بوجه من الوجوه** ، مثل : الموت ، والجهل ، والعجز ، والعمى ، فهذه ممتنعة في حق الله تبارك وتعالى. والله تعالى غضب على من وصفه بالنقص كما قال تعالى في اليهود : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ

---

(١) صحيح البخاري (٧٤٨٣) .

وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾ (المائدة : ٦٤) ، فمن وصف الله بصفة نقص فإنه متعرض لغضب الله تعالى عليه. وقد نزه الله تعالى نفسه عن كل نقص يوصف به فقال : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الصافات : ١٨٠) .

(٣) **صفات تكون كمالاً في حال ونقصاً في حال آخر** ، فلا نقول : إنها جائزة في حق الله تعالى على الإطلاق، ولا نقول : إنها ممتنعة عن الله تعالى على الإطلاق، بل نفصل فيها ، فنثبتها حال كونها كمالاً ، وننفيها حال كونها نقصاً ، مثل وصف الله بالمكر والكيد والخداع ، فإن هذه الصفات تكون صفات مدح وكمال إذا كانت في مقابلة من يفعل هذه الأشياء ؛ لأنها تدل على أن الله قادر على مقابلة عدوه المسيء بمثل فعله ، وتأمل قول الله تعالى : ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال : ٣٠) فأثبت المكر في مقابلة مكر العباد، لكنه لم يثبته إثباتاً مطلقاً، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ (الطارق : ١٦-١٥) فأثبت الكيد في مقابلة الكيد ، وقوله : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ (النساء : ١٤٢) فأثبت الخداع في مقابلة من يفعل الخداع.

* إطلاق السكوت في حق الله تعالى :

قوله : **(السكوت نقيصة)** ، نقول : إن السكوت يطلق على معنيين :

(١) عدم القدرة على التكلم ، أي : البكم والخرس.

(٢) تركُ التكلم مع القدرة عليه ، أو ترك إظهار الكلام .

يقول : السكوت نقيصة بالسيد أو بالمتوحد ، قوله : **(السكوت)** يحتمل أن يريد بالسكوت : السكوت المطلق ، وهو العجز عن الكلام ، ويحتمل أن يريد

بالسكوت : السكوت الذي هو عدم الكلام في حال دون حال ، ومن عرف أن أهل السنة والجماعة يثبتون لله صفة الكلام ، وأن صفة الكلام صفة فعلية باعتبار آحاد الكلام ، وأنهم يقولون إن الله يتكلم بما شاء إذا شاء فمعنى هذا أنه إذا شاء تكلم وإذا شاء لم يتكلم يعني : سكت ، فتكون صفة السكوت ثابتة لله بعدم التكلم إذا شاء ؛ لأن الكلام صفة فعلية ، والله يتكلم بما شاء متى شاء ، وهذا قول أهل السنة أنهم يثبتون لله صفة السكوت على المعنى الثاني فالله تعالى يتكلم إذا شاء ويترك الكلام إذا شاء ، وكذلك فإنه تعالى إن شاء أظهر كلامه وأعلم عباده به وإن شاء ترك ذلك . كقول الرسول ﷺ : « **إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها** »[1] . فهذا إثبات لصفة السكوت[2] .

* هل الكلام صفة ذاتية أو فعلية :

وبعض أهل الحديث ممن يثبتون صفة الكلام ، يجعلون صفة الكلام صفة ذاتية لا تتعلق بالمشيئة ، فلا يقولون : إن الله يتكلم بما شاء إذا شاء ، ولكن يقولون :

---

(١) سنن الدارقطني (٤/ ١٨٤) ؛ المستدرك للحاكم (٤/ ١١٥) ؛ سنن البيهقي (١٠/ ١٢) عن أبي ثعلبة . وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي وقال في مجمع الزوائد (٧/ ٥٥) رجاله ثقات .

وله شاهد عن أبي الدرداء أخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٥) ، والبزار (٢٢٣١) . وعن سلمان في سنن الترمذي (١٧٢٦) ؛ سنن ابن ماجه (٣٣٦٧) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ١٧٨) ؛ شرح العقيدة الأصفهانية ص ٩٨ .

إن من صفات الله الكلام ، وهي صفة ذاتية أزلية لا تتعلق بالمشيئة ، ويقولون : إن السكوت هو وصف الله بالبكم ، ولا يقولون : إنها صفة فعلية يتكلم متى شاء ويسكت متى شاء ، ونخشى أن يكون هذا مراد الناظم ، فإن شيخ الإسلام في كتابه (شرح العقيدة الأصفهانية) ذكر أن هذا هو قول أبي يعلى ، وابن عقيل ، وقدمنا أن أبا يعلى هو شيخ الناظم ، وأن ابن عقيل من أقران الناظم.

يقول ابن تيمية[1] : (فأصل ابن كلّاب الذي وافقه عليه القاضي ، وابن عقيل ، وابن الزاغوني وغيرهم أنه منزه عن السكوت مطلقًا فلا يجوز عندهم أن يسكت عن شيء من الأشياء إذ كلامه صفة قديمة لازمة لذاته لا تتعلق عندهم بمشيئته كالحياة حتى يقال إن شاء تكلم بكذا ، وإن شاء سكت عنه .

ولا يجوز عندهم أن يقال إن الله سكت عن شيء كما جاءت به الآثار بل يتأولونه على عدم خلق الإدراك لأنه منزه عن الخرس باتفاق الأمة .. هذا مما احتجوا به على قدم الكلام وقالوا لو لم يكن متكلمًا للزم اتصافه بضده كالسكوت والخرس ، وذلك ممتنع عندهم سواء قيل هو سكوت مطلق أو سكوت عن شيء معين).

فنقول : إن أهل السنة يثبتون أن الله يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء ، وأن الكلام والسكوت من صفات الله الفعلية ، أما السكوت الذي هو بمعنى امتناع الكلام مطلقا أو العجز عن الكلام أو السكوت الذي ليس بعده كلام فهذه صفة نقص ننفيها عن الله تعالى ، وأما من جعل صفة الكلام صفة ذاتية لا تعلق بها بالمشيئة فهذا مخطئ ،

---

(١) شرح الأصفهانية ص ١٠٠ .

فسورة المجادلة نـزلت بعد أن جادلت المرأة الرسول ﷺ ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها : (**سبحان الذي وسع سمعه الأصوات والله إنها لتجادل رسول الله ﷺ وإنه ليخفى عليَّ بعض كلامها ، فأنـزل الله تعالى : قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها**) [١] ، أما على القول بأن صفة الكلام صفة ذاتية فالمعنى أن الله تعالى قد تكلم في الأزل فقال : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ﴾ (المجادلة : ١) مع أن هذا مخالف أيضا لقوله تعالى : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ (الأنبياء : ٢) أي : كلام جديد تكلم به . وفي هذا إثبات لصفة الكلام على أنها فعلية.

* عقيدة أهل السنة في القرآن :

قال الناظم رحمه الله في القرآن :

قـالوا : فـما القـرآن؟ قلـت : كلامـه ... مـن غـير مـا حـدث وغـير تجـدد

يقول إنه سئل عن القرآن ، فأجاب أنه كلام الله . يعني : أن أهل السنة يعتقدون أن القرآن كلام الله تعالى منـزل منه تعالى وأنه غير مخلوق. ويدل على أنه كلام الله قوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ (الفتح : ١٥) وقوله : ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ (التوبة : ٦) أي : القرآن ، فسمى القرآن كلام الله ، وقوله تعالى : ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ (ص : ٢٩) دليل على أن القرآن منـزل.

والقرآن عند أهل السنة هو من كلام الله ، وكلام الله عندهم **قديم النوع حادث الآحاد** ، فصفة الكلام لله صفة ذات ، أما أفراد الكلام فإنها حادثة ارتبطت بمشيئة الله

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا (فتح الباري ١٣/ ٣٧٢) ، وابن أبي عاصم في السنة (٦٢٥) .

تعالى وليست أزلية ، وقوله : (**من غير ما حدث وغير تجدد**) إن أراد بقوله : (غير حادث) غير مخلوق ؛ فهذا صحيح. لأن أهل السنة يقولون : إنه منزل وليس بمخلوق ، إنما تكلم به الله تعالى ونـزله على نبيه عليه الصلاة والسلام ، وليس بمخلوق كما يقول المعتزلة وكما يلزم من قول الأشاعرة ، وإن أراد بقوله : (**من غير ما حدث وغير تجدد**) ، أنه لا يتكلم إذا شاء فهذا خلاف قول أهل السنة ؛ لأن أهل السنة يثبتون لله الكلام صفة ذاتية وصفة فعلية. وقد تقدم ذلك .

يقول الناظم :

قالوا : الذي نتلوه؟ قلت : كلامه لا ريب فيه عند كل مسدد

في بعض النسخ : (**قالوا فما نتلوه..**).

وفي بعض النسخ : (**لا ريب فيه عند كل موحد**).

*** الفرق بين القراءة والمقروء واللفظ والملفوظ :**

يقول : إنهم سألوه فقالوا : هذا الذي نقرؤه ما هو؟ فقال : هذا هو القرآن ، والمعنى أن أهل السنة يقولون : إن قراءة العبد للقرآن لا تخرجه عن كونه كلام الله ، فالقرآن كلام الله سواء كتب في المصاحف ، أو قرأه العباد لا يخرج بذلك عن كونه كلام الله تعالى. ولذلك يقولون : **الصوت صوت القارئ والكلام كلام البارئ** ، فالكلام الذي يقرؤه القارئ ويقرؤه الأئمة في الصلوات ويقرؤه المتعبدون إنما هو كلام الله تعالى ، أما الصوت الذي نسمعه فإنه صوت العبد ، وهو صفة من صفات العبد فيكون مخلوقاً ، فنفس التلفظ وعين التلفظ وهو حركة فم الإنسان وخروج الهواء عبر حلقه وحركة لسانه ، هذا الصوت الخارج هو صوت القارئ الذي هو

صفة من صفاته ، وهو مخلوق ؛ لأن العبد مخلوق بذاته وصفاته وأفعاله ، وأما ما يقرؤه فهذا كلام الله فالكلام كلام من قاله مبتدئًا ، فمن نقل حديثًا من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم يكون قد بلّغنا كلام النبي بصوته ، ومن أنشدنا شعرًا لشاعر قديم كان الشعر شعر الشاعر وكلامه وإن كنا قد سمعناه بصوت المبلّغ المؤدي له .

قال الناظم رحمه الله :

قالوا : فأفعال العباد؟ فقلت : ما   من خالق غير الإله الأمجد

بعد أن تناول الكلام على القرآن ناسب أن يذكر أفعال المكلفين ، ومذهب أهل السنة أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لأنّ الفعل لا يتم إلا بإرادة وقدرة ، أي : بإرادة تامة في الفاعل ، وقدرة على الفعل ، والله تعالى هو الذي خلق في الإنسان الإرادة وهو الذي خلق فيه القدرة ، و**خالق السبب التام خالق للمسبب** ، ولذا فإنهم يقولون أفعال العباد مخلوقة لله وهي كسب للعباد ، لأنهم فعلوها بإرادة منهم تامة ، لم يجبرهم الله تعالى عليها ، بل فعلوها بإرادتهم التي هي تابعة لمشيئة الله تعالى ، وفعلوها بقدرتهم التي خلقها الله تعالى فيهم ، ولذا كانت هذه الأفعال مخلوقة لله تعالى ، وهي مع ذلك كسب لهم ، فبها صاروا مطيعين وبها صاروا عصاة ، وبها يجازون وبها يثابون ، ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات : ٩٦) وقول النبي عليه الصلاة والسلام : **(الله خالق كل صانع وصنعته)**[1] ، وفي هذا الكلام رد على المعتزلة القدرية الذين يقولون : إن الله تعالى

(١) المستدرك (١/ ٣١) ؛ شعب الإيمان للبيهقي (١٩٠) ؛ السنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٥٨) ؛ خلق أفعال العباد للبخاري رقم ١١٧ ؛ شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٣/ ٩٤٣) .

لم يخلق أفعال العباد وإنما العباد هم الذين يوجدون أفعالهم دون أن يخلقها الله تعالى ، فأثبتوا خالقين مع الله ، وهذا الذي قالوه خطأ محض ، مخالف للنصوص الشرعية.

*** مراتب القدر عند أهل السنة :**

أهل السنة يؤمنون بأن القدر له أربع مراتب : لا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها .

١. **العلم** : فيجب أن يؤمن العبد بأن الله علم ما كان وما يكون وعلم ما الخلق عاملون وعلم كل شيء جملة وتفصيلاً بعلمه الموصوف به أزلاً وأبداً.

٢. **الكتابة** : الإيمان بأن الله تعالى كتب مقادير الأشياء في اللوح المحفوظ.

٣. **المشيئة** : الإيمان بأنه لا يكون شيء في هذا الكون إلا بمشيئة الله تبارك وتعالى فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

٤. **الخلق** : بمعنى أن الله خلق جميع الكائنات ، خلقها بذواتها وصفاتها وأفعالها.

والإيمان بالمرتبة الرابعة : (**مرتبة الخلق**) هو معنى أن أفعال العباد مخلوقة ، فكل فعل للعباد من طاعة أو معصية خلقه الله فيه ، لأنه خلق فيه القدرة والإرادة ، وهذا الخلق لفعل العبد لا ينفي أن يكون له إرادة ، ولا أنه يثاب على فعله ؛ لأنه فعله بإرادة تابعة لمشيئة الله ولو شاء الإنسان أن يستقيم لاستقام كما قال تعالى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ (التكوير : ٢٨).

*** إطلاق (الأمجد) على الله تعالى :**

وفي قوله : (ما من خالق غير الإله الأمجد).

وصف الله تعالى بأنه (الأمجد) : والأمجد مشتق من صفة المجد وهي صفة ثابتة لله ، وهي مأخوذة من النصوص التي سمت الله باسم المجيد ، فالله تعالى سمى نفسه المجيد (هود : ٧٣) ، وسماه به النبي ﷺ كما في الصلاة الإبراهيمية : **(إنك حميد مجيد)**[١].

وهذا يتضمن أن المجيد اسمه والمجد صفته ، إلا أن تسمية الله بالأمجد والماجد لم ترد في النصوص الشرعية ، ولذا فقوله : (الأمجد) هو من باب الخبر عن الله ، وباب الإخبار أوسع من باب الصفات ، فللعبد أن يخبر عن الله بما هو متضمن في صفاته ، ومعنى المجيد أنه عظيم الشأن ، عظيم الجلال ، عظيم الكرم ، فهو اسم جامع لمعاني عدة أسماء.

قال الناظم :

قالوا : فهل فعل القبيح مراده؟ قلت : الإرادة كلها للسيد

بعد أن بين أن أفعال العباد مخلوقة بين اعتراضاً لهم ، وهو أنكم إذا قلتم : إن أفعال العباد مخلوقة فمعناه أن الله تعالى أراد القبيح ؛ لأن من أفعال العباد الحسن ومنها السيئ وإذا قلنا : إن الله خلق أفعال العباد فمعنى ذلك أنه خلق الأعمال السيئة مع خلقه للأعمال الصالحة ، والله تعالى لا يحب الفساد.

---

(١) صحيح البخاري (٤٧٩٧) ؛ صحيح مسلم (٦١٤) .

فهل الله يريد فعل القبيح؟

فأجابهم : بأن الإرادة كلها للسيد.

لــو لم يــرده لكــان ذاك نقيــصة ... ســبحانه عــن أن يُعجَّــز في الــردي

وفي بعض النسخ : (**سبحانه عن أن يعجزه الردي**).

وفي بعض النسخ : (**لو لم يرده وكان كان نقيصة**) وكان الأولى هنا تامة بمعنى وُجد ، لا تحتاج إلى خبر . والمعنى : لو لم يرد القبيح وحصل القبيح كان نقيصة ، والنقيصة هي : العيب ؛ لأن ذلك يدل على أن إرادة الله لا تتعلق بالقبيح وأنه لا يقدر عليه. وقوله : (**الإرادة كلها للسيد**) : يعني أن كل مشيئة للعباد فإنها تابعة لمشيئة الله تعالى كما قال تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (التكوير : ٢٩) فكل فعل يفعله العباد فإنما يفعلونه بمشيئتهم ، ومشيئتهم تابعة لمشيئة الله ، لذلك يقول: (الإرادة كلها للسيد) ، فيكون الفعل القبيح الذي فعله العبد إنما وقع بمشيئة الله تعالى. وقوله : (**سبحانه عن أن يعجزه الردِي**) يعني أنزه الله عن أن يكون عاجزاً عن الفعل الردي الذي هو السيئ ، مع أن الله تعالى خالق كل أفعال العباد قال تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر : ٤٩) وقال تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (السجدة : ١٣).

وإيجاده للذنوب والمكروهات لحكمة عظيمة ، فالله تعالى لا يخلق شيئاً ولا يوجده إلا لحكمة عظيمة يعلمها من يشاء من عباده، وربما خفيت على بعض عباده[١] .

---

(١) تناول بعضًا من هذه الحكم في مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٣١) ؛ مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٣٢٥) ، مدارج السالكين (٢/ ١٩٤) ، شرح الطحاوية ص ٣٢٨ ، ٦٥٠ .

* الفرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية :

وهذا الاعتراض الذي ناقشه إنما جاءت شبهته لعدم التفريق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ، وأهل السنة **يجعلون الإرادة الإلهية تنقسم إلى قسمين :**

١- **إرادة كونية قدرية** بمعنى المشيئة ، فالمعصية وقعت بإرادة الله الكونية التي هي المشيئة ، إذ كل شيء في هذا الكون لا يحصل ولا يكون إلا بمشيئة الله تعالى أي : بإرادته الكونية ، فإذا قلت إن هذه المعصية وقعت بإرادة الله فهذا الكلام صحيح ؛ لأنها وقعت بإرادة الله الكونية ، يعني : المشيئة.

٢- **إرادة دينية شرعية** بمعنى المحبة ، والله لا يحب الفساد ولا يحب الكفر ولا يحب المعاصي ، لكنها تقع بإرادة كونية منه .

أما المبتدعة الذين يجعلون الإرادة معنى واحداً وهي الإرادة الدينية دون الإرادة الكونية ، فيقع عندهم هذا الإشكال ، ويقولون : كيف يريد الله تعالى السوء وكيف يريد الشر والله أخبرنا أنه لا يحب الفساد ، والله إنما يريد من عباده الإيمان والطاعة والجواب : أن نفرق بين الإرادتين ، الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ، فنقول : إن الله تعالى أراد المعاصي كوناً ولم يردها شرعاً ، ولذا فالناس منهم من تتعلق به الإرادتان ومنهم من تتعلق به إرادة واحدة ، فجميع الخلق إنما هو مرتبط وواقع وخاضع لمشيئة الله تعالى ولإرادته الكونية ، لكن الخاضع للإرادة الشرعية هم أهل الإيمان والطاعة ، فهم خاضعون للمشيئة الكونية والإرادة الشرعية ، أما الكافر والعاصي فإنه خاضع للمشيئة الكونية وليس بخاضع للإرادة الشرعية ، فهذا الذي اعترض على الناظم إنما يؤمن بالإرادة الشرعية ولا يقر الإرادة الكونية ، وإذا أقر بالإرادتين وفرق بينهما وعرف أن الله له إرادة كونية وإرادة شرعية وأن إرادته

الكونية لا يخرج أحد عن مرادها ، وأما الإرادة الشرعية فإنها ترادف المحبة وقد يحصل مرادها وقد لا يحصل ؛ انزاح عنه هذا الإشكال في باب أفعال العباد وفي باب القدر. وعرف أن الله سبحانه يكره الشيء ولا ينافي ذلك إرادته لكونه سببًا لحصول أمرٍ هو أحبُّ إليه من فواته ، كما أنّ الدواء الكرية يتناوله المريض لعلمه أنّ فيه فيه شفاءه ، فالمكروه وإن لم يكن مرادًا لنفسه فهو مراد لكونه وسيلة لتحقيق مقصوده.

* تعريف الإيمان وبيان حقيقته :

قال الناظم رحمه الله في حقيقة الإيمان :

قالوا فما الإيمان؟ قلت مجاوباً : عمـــلٌ وتـــصديقٌ بغـــير تبلــــد

وفي نسخة : **(عملاً وتصديقاً)**.

فكلمة : (عمل) ممكن أن تكون مفعولاً على أنه مقول القول وممكن أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره : الإيمانُ عملٌ وتصديقٌ ، فكلتا النسختين صحيحة.

يخبرنا أنه سئل عن الإيمان ، فأخبر أن أهل السنة يقولون الإيمان عمل وتصديق.

* تعريفات السلف للإيمان :

والسلف يعبرون عن الإيمان بعدة تعبيرات(١) :

منهم من يقول : **الإيمان قول وعمل واعتقاد.**

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ١٧٠) ، (٧/ ٥٠٥) .

ومنهم من يقول : **الإيمان قول وعمل.**

ومنهم من يقول : **الإيمان عمل وتصديق.**

وجميع هذه ترجع إلى أن الإيمان يحصل بثلاثة أمور:

١ . قول اللسان. وهو الإقرار والنطق بالشهادتين .

٢ . اعتقاد القلب. بالتصديق والإقرار والمعرفة وسائر أعمال القلوب .

٣. عمل الجوارح.

فمن قال : إن الإيمان عمل وتصديق مثل الناظم فإنه يقصد بالتصديق : الاعتقاد، ويقصد بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح وعمل اللسان ، فيشمل النطق، أي : اللفظ. والمقصود أن نعلم أن أهل السنة يجعلون الإيمان عبارة عما وقع في القلب وتلفظ به اللسان وعملته الجوارح ، وهذه الثلاثة كلها من الإيمان ، ويدل لذلك قول النبي ﷺ : **(الإيمان بضع وستون أو سبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله** [هذا قول] **وأدناها إماطة الأذى عن الطريق** [هذا فعل] **والحياء شعبة من الإيمان** [والحياء عمل قلبي])[1] وكذلك يدل عليه قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ (البقرة : ١٤٣) يعني صلاتكم ، فسمى الله الصلاة إيماناً ؛ لأن الصلاة من الأعمال ، والعمل جزء من الإيمان. وبهذا الاعتقاد يفارق أهل السنة المرجئة ؛ فإنّ المرجئة ومن وافقهم يجعلون العمل ليس جزءًا من الإيمان ، وعندهم الإيمان التصديق ، أو التصديق مع النطق وقد أنكر السلف هذا المذهب الرديء ،

(١) صحيح البخاري (٩) ؛ صحيح مسلم (٣٥) واللفظ له .

فقد روى اللالكائي[1] عن عبد الله بن الزبير الحميدي قال أُخبرتُ أنّ أناسًا يقولون : من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ، ولم يفعل من ذلك شيئًا حتى يموت أو يصلي مستدبر القبلة حتى يموت ، فهو مؤمن ما لم يكن جاحدًا إذا علم أن تركه ذلك إذا كان يقر بالفرائض واستقبال القبلة ، فقلت : هذا الكفر الصراح وخلاف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفعل المسلمين . ونقل البغوي[2] وابن عبدالبر[3] إجماع الصحابة والتابعين وعلماء السنة على أنّ الأعمال من الإيمان .

يقول : (**قالوا : فما الإيمان؟ قلت مجاوباً : عمل وتصديق بغير تبلد**) وقوله : (بغير تبلُدِ) ، يعني أني أجبته بغير تبلد ، والتبلد ضد الذكاء والفطنة ، أي : فأجبته بذكاء ، ومن وفقه الله تعالى وصار من أهل الذكاء والفطنة فإنه لا يجهل أن الإيمان عمل وتصديق ونطق .

ومن عقيدة أهل السنة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية كما قال تعالى : ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ (آل عمران: ١٧٣) . ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ (الفتح : ٤) .

* خلافة أبي بكر الصديق وفضائله :

قال الناظم رحمه الله في الخلافة :

قالوا : فمن بعد النبي خليفة؟	**قلت : الموحد قبل كل موحد**
حاميه في يوم العريش ومن له	**في الغار يُسعد يا له من مُسعِدِ**

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٨٨٧) .

(٢) شرح السنة (١/ ٧٨) .

(٣) التمهيد ٩/ ٢٣٨ .

خـــير الـــصحابة والقرابـــة كلهـــم ذاك المؤيِّـــدِ قبـــل كـــل مؤيِّـــد
قالوا : فمن صديق أحمد؟ قلت: من تـــصديقه بـــين الـــورى لم يجحـــد

هذه الأبيات هي في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه للنبي ﷺ ، وأهل السنة أجمعوا على أن خليفة رسول الله ﷺ هو أبو بكر ، وأنه أفضل الأمة على التحقيق ، وأنه أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ ، ولم يطعنوا في خلافته ، بل أجمعوا على أحقيته للخلافة وعلى أنه أفضل الأمة في ذاته. فيقول الناظم إنهم قالوا: أي سألوه : من الخليفة بعد الرسول ﷺ فأجاب : **(الموحد قبل كل موحد)** أي من أسلم قبل سائر الناس ، فإن أول من أسلم هو أبو بكر رضي الله تعالى عنه[1] .

*** خصائص أبي بكر الصديق عن بقية الأمة :**

ثم أخذ يصف أبا بكر الصديق رضي الله عنه بهذه الأوصاف :

١ - حاميه في يوم العريش : وفي بعض النسخ : **(صاحبه في يوم العريش)** ، ويقصد بيوم العريش غزوة بدر ، حيث أقيم للرسول ﷺ عريش يستظل تحته ، فساوى النبي ﷺ صفوف أهل بدر وحثهم على القتال ، ثم آوى إلى عريشه ومعه أبو بكر ، فطفق يدعو الله تبارك وتعالى ويتوسل إليه ويستغيث به ويقول : **(اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها)** وأبوبكر عنده يقول : **(يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك)**[2] فكان صاحبه في هذا العريش دون بقية أصحابه.

---

(١) فتح الباري (٧/ ٢٤) .

(٢) صحيح مسلم (١٧٦٣) . وهو بمعناه في صحيح البخاري (٣٥٩٣) .

٢-**مؤانسه في الغار : (ومن له في الغار يسعد ياله من مسعدٍ)** أي : لرسول الله ﷺ **(يسعد)** يعني : أنه آنسه وصاحبه فيه ، وفي هذا الموضع تحققت لأبي بكر معيتان ، معية الله ومعية النبي ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة : ٤٠) فكان مع النبي ﷺ، وكان معهما الله تبارك وتعالى يكلؤهما ويحفظهما[(١)].

٣- **(خير الصحابة والقرابة كلهم ذاك المؤيد قبل كل مؤيد)** : هذا البيت لم يذكر في بعض النسخ ، ولعل عدم ذكره أنسب وأليق ، وذلك لأنه بعده قال : (فمن صديق أحمد).

يقول : **(خير الصحابة والقرابة كلهم)** وهذا بإجماع أهل السنة أن أبا بكر هو خير الصحابة ، وهو أفضل الناس بعد النبي ﷺ، بلى أفضل الناس بعد الأنبياء. يقول: **(خير الصحابة والقرابة)** يعني أنه أفضل من الصحابة وأفضل من قرابة النبي عليه الصلاة والسلام يشير بذلك إلى ما تزعمه الرافضة من أن علياً رضي الله تعالى عنه أفضل من أبي بكر فيقول : إن أبا بكر أفضل من الصحابة والقرابة كلهم ، وقرابة أبي بكر للنبي ﷺ ليست قريبة ، لأنه يجتمع مع النبي ﷺفي مرة بن لؤي بن غالب بن فهر. وقرابته للنبي بعيدة ، وعلي أقرب منه لا شك ؛ لأنه ابن عم النبي ﷺ، لكن أبا بكر خير الصحابة وقد تواتر النقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن كان يقول : إنّ خير هذه الأمة بعد نبيها : أبو بكر ، ثم عمر [(٢)].

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٥٣) ؛ صحيح مسلم (٢٣٨١) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٢) والحديث في صحيح البخاري (٣٦٧١) .

وعلى ذلك كان علماء أهل البيت من التابعين[١] .

وقوله : (**ذاك المؤيَّد قبل كل مؤيد**) ، أي الذي نصره الله تعالى وأيده بأن وفقه للإسلام قبل كل من وفقه الله للدين لأنه أول من أسلم من الصحابة. أو المؤيِّد (على أنّه اسم الفاعل) أي أول من أيّد النبي صلى الله عليه وسلم وآزره .

٤- (**قالوا : فمن صديق أحمد؟ قلت : من تصديقه بين الورى لم يجحد**) : هذا البيت أيضاً لم يذكر في بعض النسخ ، وسَمّى أبا بكر بأنه صديق أحمد وهذا منصوص في كتاب الله في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ (الزمر : ٣٣) وورد في سبب تسميته بالصدق أنّه لما أخبر بأن النبي صلى الله عليه وسلم أسرى به قال ذلك لقد صدق ، فسمّي بالصديق[٢] .

٥- وقوله : (**تصديقه بين الورى لم يجحد**) : يعني أن وصف أبي بكر بأنه الصديق أمر لم يجحده الورى ، يعني : لم يجحده الناس ، بل هو متواتر ، قال السيوطي : أجمعت الأمة على تسمية أبي بكر بالصديق لأنه بادر إلى تصديق الرسول ﷺ ولازم الصدق [٣] ، ولم يجحد ذلك أحد من أهل السنة .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا نخير في زمن رسول الله ﷺ بين الناس فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نترك بقية الناس لا نخير بينهم[٤] .

---

(١) منهاج السنة النبوية (٧/ ٣٩٦) وقال : النقول عنهم في ذلك متواترة .

(٢) المستدرك للحاكم (٣/ ٦٢) وصححه ووافقه الذهبي . انظر : السلسلة الصحيحة للألباني (١/ ٥٥٢).

(٣) تاريخ الخلفاء ص٢٦ . وانظر منهاج السنة النبويّة (٤/ ٢٧٣) .

(٤) صحيح البخاري (٣٦٥٥) .

*** خلافة عمر بن الخطاب وفضائله :**

قال الناظم في عمر بن الخطاب وفضائله :

قالوا : فمن تـالي أبي بكـر الرضـا؟ قلـت : الإمـارة في الإمـام الأزهـد

فـاروق أحمـد والمهـذب بعـده نـصر الـشريعة باللـسان وباليـد

سألوه : فمن أحق الناس بالخلافة ومن أفضل الناس بعد أبي بكر؟ فأجاب : **(الإمارة في الإمام الأزهد)** أي : عمر بن الخطاب ، وقوله : **(أبي بكر الرضا)** يعني المرضي ، لأن أبي بكر هو المرضي عنه وفيه إشارة إلى أن قوله تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ۝٢١ ﴾ (الليل : ١٧-٢١) نزلت في أبي بكر[(١)] .

ووصف عمر بأنه الأزهد أي : الأكثر زهداً ، والزهد عرفه العلماء بأنه : **ترك ما لا ينفع في الآخرة.** أما الورع : **فهو ترك ما يضر في الآخرة.**

وقوله : **(الإمارة في الإمام الأزهد)** لأن أول من سمي بأمير المؤمنين هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقد أجمعت الأمة على إمامته وزهده وأنه أحق الناس بالخلافة بعد أبي بكر وأنه أفضل الناس بعد أبي بكر ، وهذا لا خلاف فيه بين أهل السنة. يقول واصفا عمر رضي الله عنه :

*** إطلاق لقب الفاروق على عمر رضي الله عنه :**

فـاروق أحمـد والمهـذب بعـده نـصر الـشريعة باللـسان وباليـد

(١) صحيح البخاري (٣٦٥٥) .

وفي نسخة: (**سند الشريعة**).

وصفه بأنه فاروق أحمد، وقد لُقّب عمر رضي الله عنه بالفاروق وهذا مما اشتهر عنه، وقد روي أن النبي ﷺ سماه بذلك، فقد روى عن ابن عباس أنه سأل عمر بن الخطاب: لأي شيء سميت الفاروق؟ قال فذكر لي قصة إسلامه، أنه بعد أن أسلم خرج الناس فطافوا حول البيت وصلوا وجاهروا بصلاتهم ودينهم فسماني الرسول ﷺ الفاروق)[1]، أي لأن الله أظهر به الإسلام وفرق به بين الحق والباطل.

قال: (**نصر الشريعة**) لأنه أول من جهر بالإسلام، فإنه خرج بعد إسلامه فقال: أي الناس أنقل للكلام؟ قالوا: جميل. وهو رجل من أهل مكة، فذهب إليه وطرق عليه وقال له: إني أسلمت. فخرج هذا الرجل مبادراً يجول في مكة ويقول: قد صبأ عمر. فاجتمع عليه قوم من المشركين وطفق يدافعهم عن نفسه حتى تعالى النهار[2]. قال صهيب: لما أسلم عمر أظهرنا الإسلام ودعونا إلى الله تعالى علانية، وطفنا بالبيت، وصلينا حوله، وجلسنا حلقاً[3]. ولم يفعلوا ذلك قبل إسلام عمر، فأعز الله دينه بإسلام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. ولذا قال له ابن عباس لما طُعن: كان إسلامُك عزًا، وأظهر الله بك الإسلام[4].

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٧٠)؛ تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٣٠ وأسانيد القصّة ضعيفة.

(٢) ابن حبان (٦٨٤٠)؛ المستدرك للحاكم (٣/ ٨٥)؛ صححه ووافقه الذهبي وانظر: السيرة لابن هشام (١/ ٣٧٣).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٦٩).

(٤) المعجم الأوسط للطبراني (١/ ٣٣٤).

وقوله : (**المهذب بعده**) ، يعني : الذي كان يهذب الناس ويعتني بإرشادهم بعد أبي بكر ، وقد عرف عن عمر أنه كان يسير ومعه الدرة يضرب بها ويهذب بها من رآه على منكر أو على معصية. وقال النووي أن عمر بن الخطاب أول من أتخذ الدرّة [١].

* خلافة عثمان بن عفان وفضائله :

قال الناظم رحمه الله في عثمان بن عفان وفضائله :

قالوا : فثالثهم؟ فقلت : مسارعاً ... من بايع المختار عنه باليد

صهر النبي على ابنتيه ومن حوى ... فضلين فضل تلاوة وتهجد

أعني ابن عفان الشهيد ومن دعي ... في الناس ذا النورين صهر محمد

بعد أن سألوه عن أبي بكر وعمر سألوه عن ثالث هؤلاء في الفضل والخلافة قال : (**فقلت : مسارعاً**) ، وفي نسخة : (**مجاوباً**) وفي نسخة : (مبادراً) والمعنى متقارب. فثالث الخلفاء بإجماع المسلمين من أهل السنة الجماعة بعد أبي بكر وعمر هو عثمان . وقوله : (مبادراً) أي : مسارعاً ؛ لأن الأمر معلوم وهو محل إجماع لا يشك فيه العاقل ولا يتردد. وقوله : (**من بايع المختار عنه باليد**) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان رسول رسول الله إلى أهل مكة ، فلما لم يكن موجوداً قال النبي ﷺ : إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله ، فضرب بإحدى يديه على يده الأخرى وقال : هذه يد عثمان ، وهذه لعثمان ، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم) [٢] ، ولذا قال :

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٣٣) .

(٢) صحيح البخاري (٣٦٩٨) ؛ سنن الترمذي (٣٧٠٦) ؛ مسند أحمد (٢/ ١٠١) .

(من بايع المختار عنه باليد). والمختار يعني به المصطفى عليه الصلاة والسلام، فكانت يد النبي نائبة عن يد عثمان في البيعة.

* أشهر مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه :

ثم أخذ يتحدث عن مناقب عثمان فقال :

صهر النبي على ابنتيه ومن حوى   فضلين فضل تلاوة وتهجد

لأنه تزوج ابنتي النبي عليه الصلاة والسلام، فتزوج رقية، ثم توفيت فتزوج أم كلثوم. وقد كان علماء السلف يقولون : إنه **لم يغلق أحد بابه على ابنتين لنبي من الأنبياء إلا عثمان**، ولذا سمي ذو النورين. يقول : **(من حوى فضلين فضل تلاوة وتهجد)**. هذا مما اشتهر عن عثمان رضي الله عنه فإنه اشتهر بمصحفه وتهجده. وكثرة تلاوته للقرآن، حتى أنه قتل شهيداً وهو يقرأ القرآن، واشتهر بقيامه لليل، كما أنه اشتهر بصفة ثالثة وهي الحياء كما قال النبي عليه الصلاة السلام : **(ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة)** [1].

ثم يقول : **(أعني ابن عفان الشهيد)** فقد استشهد سنة (٣٥) للهجرة في أيام التشريق وهو يتلو كتاب الله تعالى.

* خلافة علي وفضائله :

قال الناظم رحمه الله في على بن أبي طالب رضي الله عنه :

قالوا : فرابعهم؟ فقلت مبادراً :   من حاز دونهم أخوة أحمد

زوج البتول وخير من وطئ الحصى   بعد الثلاثة والكريم المحتد

---

(١) صحيح مسلم (٢٤٠٢).

أعني أبا الحسن الإمام ومن له   بين الأنام فضائل لم تجحد

ثم سألوه عن رابع الخلفاء الراشدين؟ فأجاب أنه علي بن أبي طالب ، وقد أجمع أهل السنة على ترتيب الخلفاء في الخلافة كما وقع ، أي أن أحقهم بالخلافة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، أما في الفضل فقد حصل اختلاف بين السلف هل علي أفضل أم عثمان؟ أهل الكوفة يرون أن علياً أفضل من عثمان ، وجمهور السلف يرون أن عثمان أفضل ، ثم استقر قول أهل السنة على أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة ، فأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي[1].

(قالوا فرابعهم؟ فقلت مبادراً) وفي نسخة **(مجاوباً)**.قوله : **(من حاز)** يعني : حَصّل ، **(دونهم)** أي : من بين الخلفاء الأربعة ، **(أخوة أحمد)** ، وأحمد هو النبي ﷺ ، وهو يشير بهذا إلى ما يتناقله المؤرخون من أن النبي عليه الصلاة والسلام بعد هجرته إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار ، وإنه آخى بينه وبين علي بن أبي طالب[2] ، وهذا الخبر كذب وافتراء ؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام آخى بين المهاجرين والأنصار ، ولم يثبت أنه آخى بين مهاجرين اثنين ، ولا أنه آخى أحداً من المهاجرين[3].

*** إطلاق البتول على فاطمة :**

ثم قال واصفاً له :

(١) منهاج السنة النبوية (٨/ ٢٢٥)

(٢) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥٥ .

(٣) منهاج السنة النبوية (٧/ ٣٦٠).

زوج البتول وخير من وطئ الحصى بعـــد الثلاثـــة والكـــريم المحتـــد

(**زوج البتول**) البتول : لقب يطلق على فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام ورضي عنها، وسميت البتول ؛ لأن البتول يطلق على أحد أمور ثلاثة كلها اجتمعت فيها :

١. **من انقطع عن غيره لعلوه وفضله ومكانته** ، ولا شك أن فاطمة كانت كذلك، وهي خير هذه الأمة نسباً ، فهي ابنة نبينا عليه الصلاة والسلام.

٢. **يطلق على من تبتل لعبادة الله تعالى** : وقد كانت كذلك .

٣. **يطلق على من فاق الناس في جماله وحسنه** : وكذلك هي ، وكيف لا وهي ابنة رسول الله ﷺ .

وقوله : (**خير من وطئ الحصى**) يعني خير من داس على الأرض بعد هؤلاء الخلفاء ، وبعد النبي عليه الصلاة والسلام الذي وصفه بأنه : (**كريم المحتد**) ، **المحتد** : الأصل ، أي كريم الأصل.

قال : (**أعني أبا الحسن الإمام**) ، وهي كنية على رضي الله عنه . وقال : (**ومن له بين الأنام فضائل لم تجحد**). فإنه قد جاءت النصوص وتكاثرت في فضائله ، وصار الناس فيه بين مبغض يكفره كما تفعل الخوارج ، وبين محب يغلو فيه كما غلت الرافضة .

* موقف أهل السنة من معاوية وسائر الصحابة :

ثم قال الناظم رحمه الله : مبيناً موقف السلف من معاوية بن أبي سفيان وبقية الصحابة رضي الله تعالى عنهم :

ولابـن هنـد في الفـؤاد محبـة ومـودة فلـيرغمن مفنـدي
ذاك الأمـين المجتبـى لكتابـة الـ ـوحي المنـزل ذو التقـى والسـؤدد

بعد أن ذكر الخلفاء الأربعة وفضائلهم وذكر مناقبهم وترتيبهم في الفضل والخلافة، شرع في الكلام على صحابيين وهما معاوية بن أبي سفيان، والعباس عم النبي عليه الصلاة والسلام.

وإنما ذكر معاوية للرد على الرافضة الذين يبغضونه، ويعتقدون فيه ما ليس فيه. وأهل السنة يعتقدون في الصحابة جميعًا وجوب المحبة وحرمة ذكر المساوئ، وأنه يجب أن تذكر محاسنهم، وأن يدعى لهم؛ لما لهم من السوابق والفضائل. وقد قال النبي ﷺ: (**لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**)[1] يعني ما بلغ المد مما أنفق هؤلاء الصحابة ولا نصف المد، وهذا لما لهم من السابقة، وفضيلة الصحبة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ﴾ (الحشر: ١٠) والطعن في الصحابة إنما هو طعن في القرآن والسنة لأنهم هم الذين نقلوهما لنا.

* الموقف من أخطاء الصحابة رضي الله عنهم:

ولابد أن يعرف المسلم أن ما نقل عن بعضهم من مساوئ منها ما هو كذب أو زيد فيه ونقص، وما صح من هذه المؤاخذات فبعضها هم فيها مجتهدون إما أن

(١) صحيح البخاري (٣٦٧٣). صحيح مسلم (٢٥٤١).

يكونوا قد أصابوا فحصلوا أجرين وإما قد أخطأوا فلهم أجر على اجتهادهم ، وخطؤهم مغفور .

وما وقعوا فيه من المعاصي فإنها تجوز عليهم ؛ لأنهم من جملة البشر ، والبشر تجوز عليهم الصغائر والكبائر ، وتجوز عليهم الذنوب ، لكن لابد أن تعرف أنهم :

إما أن يكون خطؤهم مغفوراً ؛ لأن لهم من السوابق والفضائل والصحبة ما ليس لغيرهم. ولأن لهم من الأعمال الصالحة ما يكفر هذه المعاصي وإما أن يكونوا قد تابوا منها ، والتوبة تجب ما قبلها وتمحو الذنوب ثم بعد ذلك كله نعرف أَنَّهم أحقّ الناس بشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام.

يقول الناظم رحمه الله : (**ولابن هند**) أي ، معاوية ، فإنه ابن هند ، وأبوه أبو سفيان ، وقوله : (**في الفؤاد محبة**) أي إني أحبه وأوده. وقوله : (**فليرغمن**) ، أي يصيبه الرغام ، وهو : التراب ، والمعنى أنه يدعو عليه أن يكون ذليلاً يتمرغ في التراب. (**مفندي**) أي المكذب ، والفند هو التكذيب.

والمعنى : من كذبني في أن معاوية مستحق للمحبة لأنه من جملة الصحابة فأنا أدعو عليه أن يصيبه الذل .

* فضل معاوية رضي الله عنه :

وقوله :

ذاك الأمين المجتبى لكتابة الـ ـوحي المنزل ذو التقى والسؤدد

يصف معاوية بأنه (**أمين مجتبى**) قد اختاره النبي ﷺ لكتابة الوحي ، ومعلوم أنه ليس كل الصحابة كانوا كتابًا للوحي وإنما اختار جملة من الصحابة ومن ضمنهم معاوية ، واختيار النبي عليه الصلاة والسلام له دليل على فضله .

* فضل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه :

ثم بعد ذلك ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي عليه الصلاة والسلام فقال :

ولعـــم ســـيدنا النبـــي مناقـــب لـــو عـــددت لم تنحـــصر بتعـــدد
أعني أبا الفـضل الـذي استـسقى بـه عمـــر أوان الجـــدب بـــين الـــشهَّد

(**أعني أبا الفضل**) : أي العباس ؛ لأنه أبو الفضل ابن عباس ، وهو صحابي معروف ، فيخبر أنّ له مناقب لا تنحصر بتعدادها ، ومنها : أن عمر استسقى به (**أوان الجدب**) يعني : زمن الجدب. قوله : (**بين الشهد**) أي : الناس الذين حضروا هذا الموقف.وقد روى البخاري[1] أن عمر بن الخطاب لما استسقى قال : اللهم إنا كنا نستسقي إليك بنبينا عليه الصلاة والسلام ، وإننا الآن نستسقي بعم نبينا ، قم يا عباس فأدع الله تعالى ، فقام العباس ودعا الله تعالى أن يسقيهم. فمراده أن عمر استسقى به أي أن عمر توسل إلى الله تعالى بدعاء العباس ، والتوسل إلى الله تعالى منه ما يكون توسلاً شرعياً جائزاً ومنه التوسل المحرم الباطل.

فالتوسل **الجائز** مثل أن يتوسل الإنسان ويتقرب إلى الله بدعاء الرجل الصالح له ، كما وقع من عمر أنه طلب من العباس أن يدعو الله. ومثل التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح كما وقع للثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة وهم في الغار .

وأما التوسل **الباطل** فهو أن يتوسل الإنسان إلى الله بذوات المخلوقين فيقول :

---

(١) برقم (١٠١٠) .

اللهم إني أسألك بفلان أو التوسل إلى الله بحق المخلوقين أو جاههم ، مثل أن يقول: اللهم إني أسألك بجاه محمد مثلاً .

هذان البيتان في عم النبي عليه الصلاة والسلام ، والثلاثة الأبيات التي بعدها أبيات لم تذكر في أكثر النسخ ، والظاهر عليها أنها مدخلة في المنظومة ، فإنها مدح وثناء للدولة العباسية وحكامها ، وهذا لا يتفق مع ما أراده الناظم من جمع مسائل الاعتقاد ؛ فإن الثناء على أمة أو طائفة ممن حكمت أمة الإسلام ليس من جملة الاعتقادات التي يذكرها العلماء على عاداتهم في كتبهم ومصنفاتهم ، وهذا يقوي أن تكون هذه الأبيات مدخلة في المنظومة ، ومع ذلك فإننا نشرح ألفاظها يقول الناظم رحمه الله :

ذاك الهمام أبو الخلائف كلهم   نسقاً إلى المستظهر بن المقتدي
صلى عليه الله ما هبت صبا   وعلى بنيه الراكعين السجد
وأدام دولتهم علينا سرمداً   ما حن في الأسحار كل مغرد

يقول : (**ذاك الهمام**) أي : صاحب الهمة العظيمة. (**أبو الخلائف كلهم**) : إذ ينتسب إليه خلفاء الدولة العباسية. (**نسقاً إلى المستظهر بن المقتدي**) أي : جميعهم إلى المستظهر بن المقتدي ، وهو من خلفاء الدولة العباسية.(**صلى عليه الله**) أي العباس. (**ما هبت صبا**) الصبا نوع من الريح. (**وعلى بنيه الراكعين السجد**) أي وعلى بنيه صلى الله.

وفي قوله : (**صلى عليه الله**) صلاة منه على غير الأنبياء ، ومعلوم أن الأنبياء يصلى عليهم ، أما غير الأنبياء فإنه تجوز الصلاة عليهم كما قال النبي عليه الصلاة

والسلام : (**اللهم صل على آل أبي أوفي ، اللهم صل على آل أبي أوفي**) [١] وأحسن من ذلك الترضي عن الصحابة ومن بعدهم ففي القرآن الترضي عن الصحابة ، كما قال تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ (التوبة : ١٠٠) . قال ابن القيم رحمه الله : (الصلاة على غير النبي ﷺ إن كان للملائكة وأهل الطاعة عمومًا جاز ذلك فيقال اللهم صل على ملائكتك المقربين وأهل طاعتك أجمعين ، وإن كان شخصًا معينًا أو طائفةً معينة كره أن يتخذ الصلاة عليه شعارًا لا يخل به ، ولو قيل بتحريمه لكان له وجه ، لاسيما إذا جعله شعارًا له كما تفعله الرافضة بعلي رضي الله عنه ، أمّا إن صُلّي عليه أحيانًا بحيث لا يجعل شعارًا فهذا لا بأس به) [٢] ، قوله : (**وأدام دولتهم علينا سرمداً**) يعني: دائماً بلا انقطاع. قوله : (**ما حن في الأسحار صوت مغرد**) يعني ما دمنا نسمع صوت الطيور ، والمعنى : أنه يسأل الله أن تبقى هذه الدولة إلى قيام الساعة ، وقد سقطت هذه الدولة في غزو المغول سنة ٦٥٦هـ وانقضت هذه الخلافة ، وعقبها ما عقبها من دول ، وهذه الدولة العباسية لم تكن مستحوذة على كامل بلاد الإسلام ، فقد انفصلت الأندلس عنها وحكمها بقايا من بني أمية .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : **الخلافة الأموية أفضل في الجملة من الخلافة العباسية ، وذلك :**

(١) لأن الدولة الأموية كانت في القرون المفضلة ، وكان فيهم الصحابة ، وأما

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٧) ، صحيح مسلم (١٠٧٨) .

(٢) جلاء الأفهام ص ٦٦٣ .

الدولة العباسية فلم تكن في القرون المفضلة، ولم يكن في زمانهم أحد من الصحابة.

(٢) الخلفاء في الدولة الأموية كانوا هم غالبا من يقوم بإمامة الناس في الصلاة، وكان فيهم الفقهاء، وأما في عهد الدولة العباسية فقد انقضى هذا الأمر.

(٣) كما أنه ظهرت في وقت الدولة العباسية كثير من البدع التي كفر أصحابها، كالجهمية، والجبر، والإرجاء، وغير ذلك وانتشرت، وألزم بعض خلفائهم الناس بهذا القول.

*** خاتمة المنظومة :**

يقول الناظم رحمه الله :

فعليهم وعلى الصحابة كلهم ... صلوات ربهم تروح وتغتدي

يقول : عليهم صلوات ربي تذهب وتجيء، والمراد أنها صلاة عليهم مستمرة دائماً لا تنقطع، والصلاة تطلق على الدعاء إذا كانت من العبد وأما صلاة الله فهي ثناؤه على عبده كما قال تعالى : ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ ولا تصل فالصلاة تطلق على الدعاء، بمعنى أنه يدعو لهم، وقلنا : الأولى بالصحابة الترضي عليهم، لما جاء في كتاب الله، ولأنه ما درج عليه أهل السنة وتقدم الكلام عن الصلاة.

قال الناظم رحمه الله :

وإني لأرجو أن أفوز بحبهم ... وبما اعتقدت من الشريعة في غد

يقول : إني أرجو أن أفوز يوم القيامة بأمرين :

١- ما اعتقدته من عقيدة سلفية.

٢- حبي لهؤلاء الصحابة.

والمعنى : أن حبه لهؤلاء الصحابة عمل صالح يرجو أن يثيبه الله عليه ، ولا شك أن من الأعمال الصالحة محبة الصحابة رضي الله عنهم ، ومحبة المؤمنين وموالاتهم ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : (**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**) [١].

قالوا : أبان الكلوذاني الهدى   قلت : الذي فوق السماء مؤيدي

أي : شرحت اعتقادك وأبنت لنا الهدى ، وأبنت لنا الرشاد .

وقوله : (**قلت : الذي فوق السماء مؤيدي**) :

المراد أن الله تعالى هو الذي نصرني ، وهو الذي دلني إلى هذا الهدى ، فكان بذلك مرشداً لي وهادياً لي وموفقاً وناصراً ، وفي قوله : (**الذي فوق السماء مؤيدي**) يقصد أن الله هو الذي أيده ونصره ، وقد جاء في النصوص أن الله تعالى فوق السماء ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (**والذي نفسي بيده لا تغضب امرأة زوجها إلا كان الذي في السماء غاضبا عليها حتى يرضى عنها زوجها**) [٢] .

وقال النبي ﷺ لسعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة : (**لقد حكمت بحكم الله تعالى الذي حكم به من فوق سبع سموات**)[٣]. وقد قدمنا النصوص الدالة على علو

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١١٥٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وله شواهد عن ابن مسعود والبراء بن عازب انظر : السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٠٦).

(٢) صحيح مسلم (١٤٣٦) .

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٦) ؛ الأسماء والصفات للبيهقي (٨٨٥) ، وأصله في الصحيحين بدون لفظ الشاهد انظر : مختصر العلو ص ٨٧ .

الله تعالى . والمؤيد : هو الناصر الموفق.

وبهذا ينتهي هذا البيت الأخير من هذه المنظومة ، ونكون قد أكملنا ما يستحق من هذه المنظومة الشرح والإيضاح والتنبيه .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

* * *

المحتويات

* * *